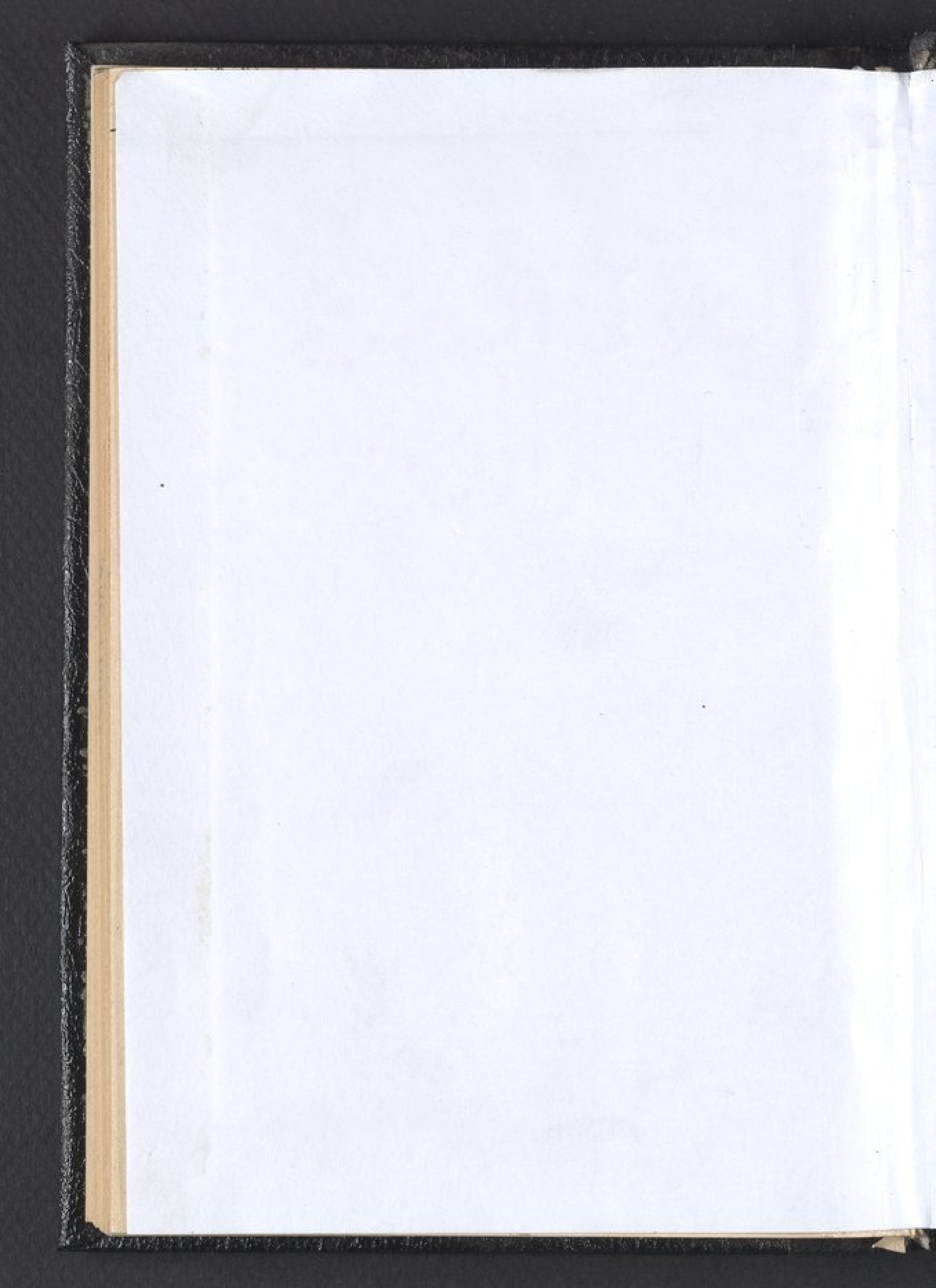
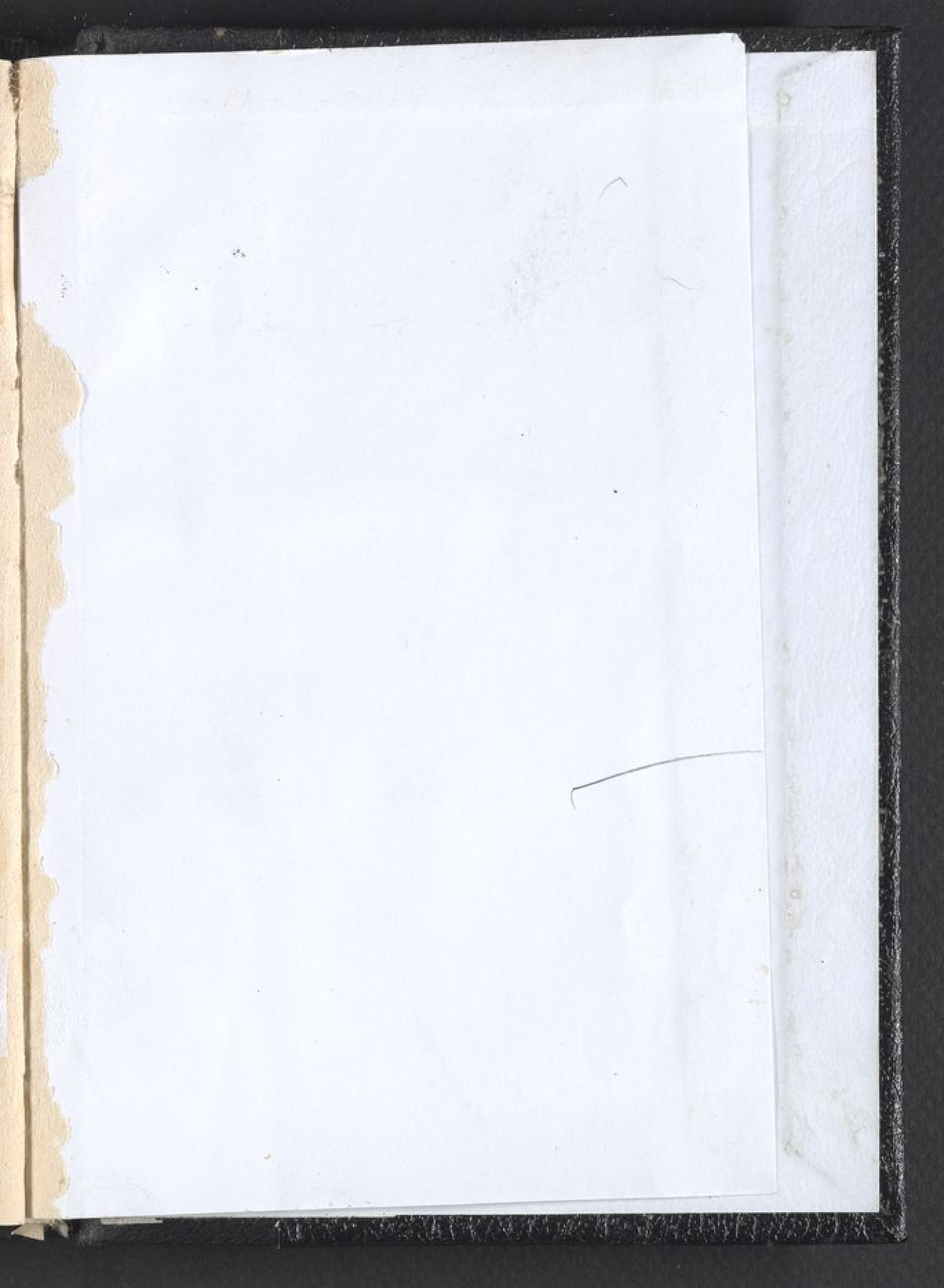








١٩ - ٤ - ١٩٤٥

البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف

سلامه موسى

المطبعة العصرية بمصر
لصاحبها : الياس أنطون الياس
٦ شارع الخليج الناصرى بالفجالة





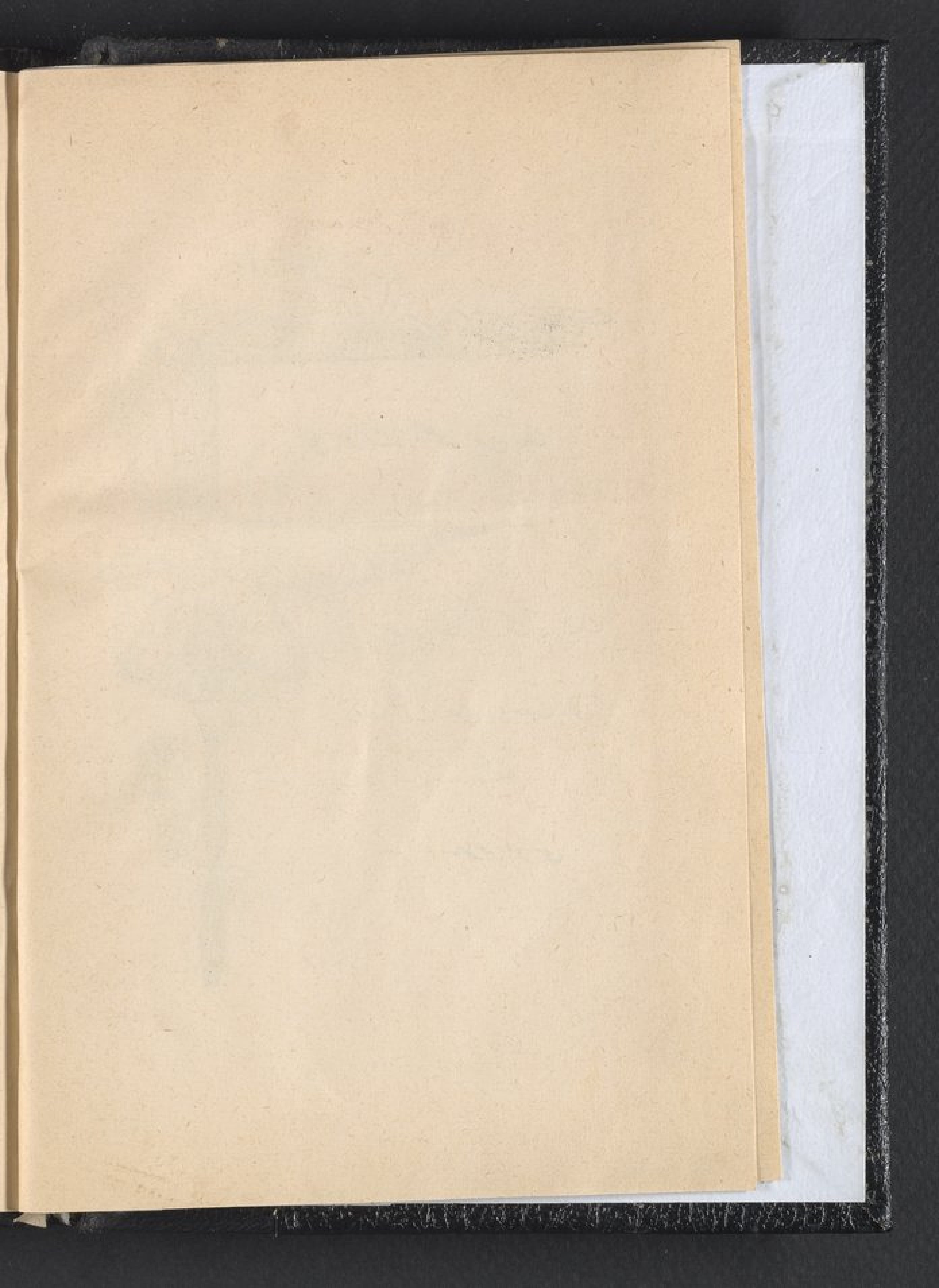
الى الاستاذ احمد امين بك

أهدى هذا الكتاب اليك

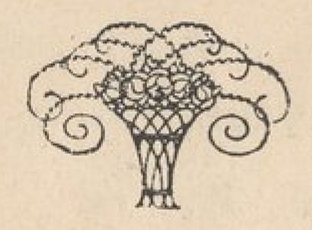
لانك أنت الذى أوحيت الىَّ

- من حيث لا تدرى - بتأليفه

سلامه موسى



فهرس



« كل كلمة هى صورة الصورة ، رمز لأحد الأوهام »

أناطول فرانس

« إنها لفكرة رهيبة أن تقول إنه ليس هناك أحـد ممتاز حقاً يستطيع أن يعرف ماذا يقصد . انظر إلى عظماء هذا العالم : ساسته . فاننا لا نناقش ما يقولون بل ماذا كانوا يقصدون حين قالوا هذا القول أو ذاك »

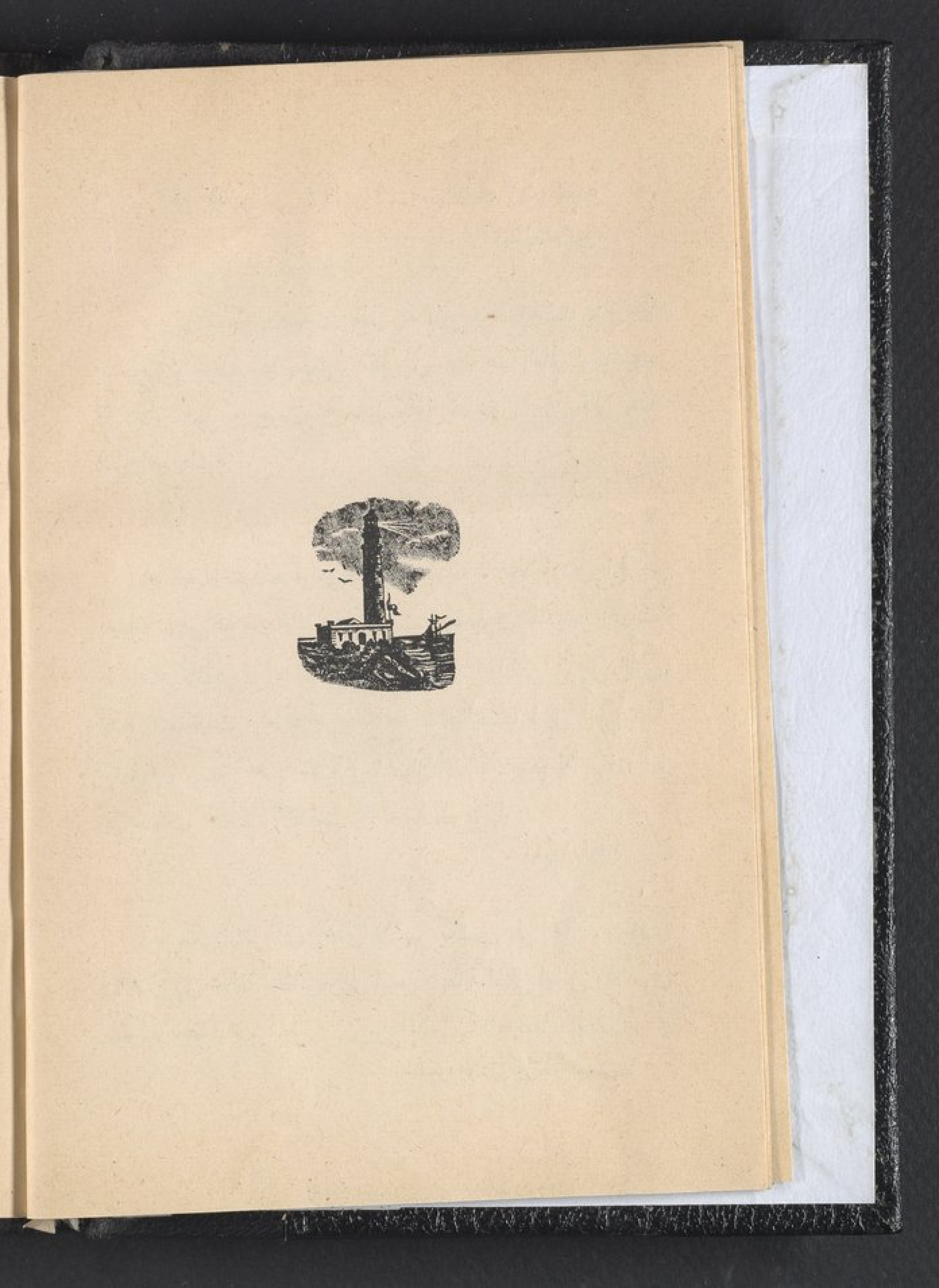
جيمس بارى

« يفخر الصـانع ويعنى بآلاته وأدواته . ولا يؤدى الجراح عملياته بموسى قديم . والرياضى يبحث وينقب فى لذة عن أدوات الرياضة كالمضرب أو البندقية أو غيرهما . ولـكن الرجل الذى يعمل بالـكلمات ، ما لم يكن قد احترف التأليف ، (بل ليس هذا دائماً) ، يهمل اهمالا عجيباً فى اختيار أدواته . وهو لا يعرف أنه فى حالات كثيرة ، كلما قلت كلماته زادت قوتها »

ايفور براون

« يفكر الناس فى إهمال لأنهم يكتبون فى إهمال . ويؤدى الاهمال إلى مخالفة الحقائق وإلى التعبير برطانة تضلل الناس والأمم فى سلوكهم وعقائدهم . أجل ، إن من أساء الـكتابة فقد كذب »

الملحق الادبي لجريدة التيمس



مقدمة

كلنا نكتب الآن عن اللغة ، وكلنا نشعر بخطورة هذا الموضوع لأننا انتهينا ، بما نعرفه من اللغات الاوربية ، الى ان تأخرنا اللغوى فى مصر هو سبب من أعظم الاسباب لتأخرنا الاجتماعي . وقد كان الثقاب الذى أشعل هذا الموضوع فى وجدانى و بعثنى على تأليف هذا الكتاب مقالا نشره الاستاذ احمد امين بك فى مجلة الثقافة يراه هنا القارئ فى صفحة ٤١ أوضح فيه ان معاني الكلمات تتغير حين يتغير الزمان أو المكان أى حين يتغير المجتمع الذى تستعمل فيه الكلمات . ويمكن القارئ أن يعد هذا الكتاب شرحاً وتعليقاً وتوسعاً فى معانى هذا المقال

واللغة المثلى هى التى لا تلتبس كلماتها ولا تتساح معانيها ولا تتشابه عن بعد أو قرب . بل هى التى تؤدى المعانى فى فروق واضحة كالفرق بين رقمى ٥ و ٦ . ثم هي اللغة الثرية الخصبة التى تتسع للتعبير عن المعاني الكثيرة التى يحتاج اليها المتمدنون . بل هى التى تتسع أيضاً

لاختراع الكلمات الجديدة التى تتطلبها الحاجات النامية المتزايدة لهؤلاء المتمدنين

وفى مصر طبقة من الكتاب حاولت ولا تزال تحاول استخدام اللغة العربية وسيلة من الوسائل الأدبية لاسترداد الأمس. بل ان عندنا من اللغويين من يتحدث عن اللغة العربية كما يتحدث المستشرقون الأوربيون عن اللغة السنسيكريتية. ولكن مع فرق أصيل. فان هؤلاء لايحاولون إحياء الميت من الكلمات السنسيكريتية ولكن أولئك يحاولون هذا الأحياء للكلمات العربية حين كان يجب عليهم، لو كانوا على وجدان بالعصر الحديث، أن يدفنوها. ومعظم هذه الطبقة يتألف من معلمى اللغة العربية فى مدارسنا

وليس فى هذه الدنيا شىء هو أثمن من اللغة الحسنة. لأننا نفكر وننبعث بالكلمات. وسلوكنا فى البيت والشارع والحقل والمصنع هو قبل كل شىء سلوك لغوى. لأن كلمات اللغة تقرر لنا الأفكار والانفعالات وتعين لنا السلوك كما لو كانت أوامر. بل نستطيع أن نقول إن سيادة البريطانيين على الهنود أو المتمدنين على المتوحشين هي إلى حد ما سيادة لغوية: أى مجموعة خصبة وافية من كلمات المعارف والاخلاق تحدث براعة فى الفن وتوجيهاً فى السلوك يؤديان إلى السيادة... وأحياناً إلى العدوان

وحرمان لغتنا من كلمات الثقافة العصرية هو لذلك حرمان للأمة من المعيشة العصرية . فنحن ما زلنا نعيش بكلمات الزراعة ولما نعرف كلمات الصناعة . ولذلك فان عقليتنا عقلية قديمة جامدة متبلدة تنظر إلى الماضى . حتى أننا نؤلف فى ترجمة معاوية ابن أبى سفيان فى الوقت الذى كان يجب أن نؤلف فيه عن هنرى فورد ومغزى الصناعة فى عصرنا . أو عن كارل ماركس ومغزى تفكيره المستقبلى

والدعوة إلى لغة عصرية هى فى صميمها دعوة إلى المعيشة العصرية . لأن الكاتب ، حين يستبيح اعتناق الكلمات العلمية كما هى بلا ترجمة ، إنما هو فى الواقع يستبيح حضارة العلم والمنطق والرقى الصناعى بدلا من حضارة الآداب والعقائد والزراعة

وواضح أن اللغة هى ثمرة المجتمع الذى يتكلم أفرادها بها . ولكن المجتمع أيضاً هو ثمرة اللغة التى تعين لأفراده بكلماتها سلوكهم الذهنى والعاطفى . وقد التفت إلى عبارة قالها الأستاذ عباس محمود العقاد بشأن الاشتراكيين فى مصر لها مناسبة هنا . إذ هم يدعون ، على غير ما يحب ، إلى اللغة العامية . وقد حسب عليهم هذه الدعوة فى قائمة رذائلهم . لأنه هو يعتز بفضيلة اللغة الفصحى ويؤلف عن خالد ابن الوليد أو حسان بن ثابت . ولكنه غفل عن التفسير لهذه الظاهرة الاجتماعية وهى أن الاشتراكيين شعبيون يمتازون بالروح الشعبى

ويعملون لتكوينه . وهم لهذا السبب أيضاً مستقبليون وليسوا سلفيين . ولذلك يحملهم احترامهم للشعب على إيثار لغته الحاضرة على لغة السلف . في حين أنه هو سلفى الذهن فى لغته وأسلوبه وتفكيره وسلوكه

وليس الأستاذ العقاد وحيداً فى هذه السلفية . لأنى أعتقد أن ٩٠ بل ربما ٩٩ فى المئة من كتابنا سلفيون . وهذه السلفية هى نتيجة لحرمان الأمة من الرقى الصناعي وقصرها على الزراعة وعرقلة بل عرقبة كل تقدم صناعي حاولته الأمة فى السنين الستين الأخيرة . لأن المجتمع الصناعي كان جديراً بأن يحدث مجتمعاً مستقبلياً يكتب مؤلفوه بلغة الشعب وتنتقل اهتماماتهم الذهنية من التأليف عن قدماء العرب إلى التأليف عن مشكلاتنا العصرية فى الاخلاق والتعليم والاقتصاد ومكافحة الفاقة . وإنى بالطبع لا أغفل هنا ارتباط اللغة بالتقاليد والعقائد وأن هذا الارتباط من أسباب الكراهة للتطور اللغوى . أعنى أن العقلية الكلاسية فى اللغة ، عقلية التقاليد التليدة ، قد أحدثت لنا مزاجاً أدبياً اجتماعياً هو النظر إلى الماضى ومحاولة استرداد الأمس والتبلد والتجمد فى الوقت الذى نحتاج فيه إلى أن نشق طريقنا إلى المستقبل

وهذه هى إحدى الغايات التى قصدت من تأليف هذا الكتاب

ولكن هناك غايات أخرى . فانى أردت أن أصل بالقارىء إلى تصور جديد للغة من حيث نشأتها وتكونها إلى نضجها وما تحمل من رواسب تاريخية قد تعود علينا بالضرر لأنها كانت تخدم مجتمعاً ربما كانت فضائله معدودة بين الجرائم فى سلوكنا العصرى . كما انى التفتُ إلى الضرر الفادح بتفكيرنا حين نستعمل كلمات ليست محكمة المعنى فلا تنعقد الصلة الحسنة بها بين الكاتب والقارىء . وهذا كثير فى لغتنا وهو عقبة فى التفكير العلمي الدقيق . ولم أنس أن نبه القارىء إلى أن بلاغتنا التقليدية التى تعلم لطلبتنا فى المدرسة والجامعة هي بلاغة الانفعال والعاطفة فى الوقت الذى نحتاج فيه إلى تأكيد المنطق والعقل . كما إنى توسعت فى شرح المعنى الذاتى والمعنى الموضوعى للكلمات . وهذا موضوع تخصب فيه الالتباسات والشبهات فى المجادلات السياسية أو العقيدية أو الاجتماعية . وقد مسست بعض الاصلاحات المقترحة مثل إلغاء الاعراب واتخاذ الخط اللاتينى وأكثرت من المقارنات بين لغتنا واللغة الانجليزية لكى أبرز للقارىء عيوب لغتنا وإرهاقها للمتعلمين بقواعد وتقاليد لم تعد لها فائدة

وبدهى أنه لو تفشى النظام الصناعي فى مصر لاستتبع ثقافة علمية وأدباً مستقبلياً . وعندئذ يأخذ « التميع » فى اللغة مكان

« التجمد » لأن جميع الظواهر الاجتماعية تنهض على أساس من النظام الاقتصادى . واللغة إحدى هذه الظواهر . ونحن بالطبع آخذون فى تعميم الصناعة فى بلادنا على الرغم من العرقلة بل العرقبة التى تلاقيها مصانعنا من أولئك المسيطرين الذين يرون أنه لا يجوز لنا أن نعيش على هذا الكوكب إلا مزارعين وفلاحين ننتج القطن رخيصاً وفيراً

ولكن ليس من المعقول أننا الذين تنبهنا وأصبحنا على وجدان بالرقى العصرى أن نسكت ونقول . « دعنا من الكلام فى رقى اللغة حتى يعمم النظام الصناعى وهو الكفيل بالتغير المنشود » إذ يجب أن نساعد على هذا الرقى بتجديد اللغة . وحسبنا من هذه المساعدة أن نشخص الداء ونومىء إلى الدواء وننبه الغافلين وننصح للمعاكسين

وأعظم هؤلاء المعاكسين هم الذين تخصصوا فى درس اللغة العربية مثل خريجى « دار العلوم » فان تخصصهم هذا قد حال بينهم وبين دراسات بشرية عديدة فضاقت أفاقهم وصاروا ينظرون إلى لغتنا كما لو كانت إحدى اللغات المتحجرة فى المعابد فلا ينبغي تغيير كلمة أو حتى أسلوب التعبير فيها أو خطها .

زد على هذا أنهم قد أصبحوا طبقة لهم وضع اقتصادى ووجدان

طبق ينهضان على استبقاء اللغة العربية فى جمودها الحاضر . ولذلك يخشون التغيير ويرون فيه هجوماً على مصالحهم الاقتصادية . ولكن يجب أن نذكر أن مصلحة الأمة يجب أن تعلو على مصالح أية طبقة فيها

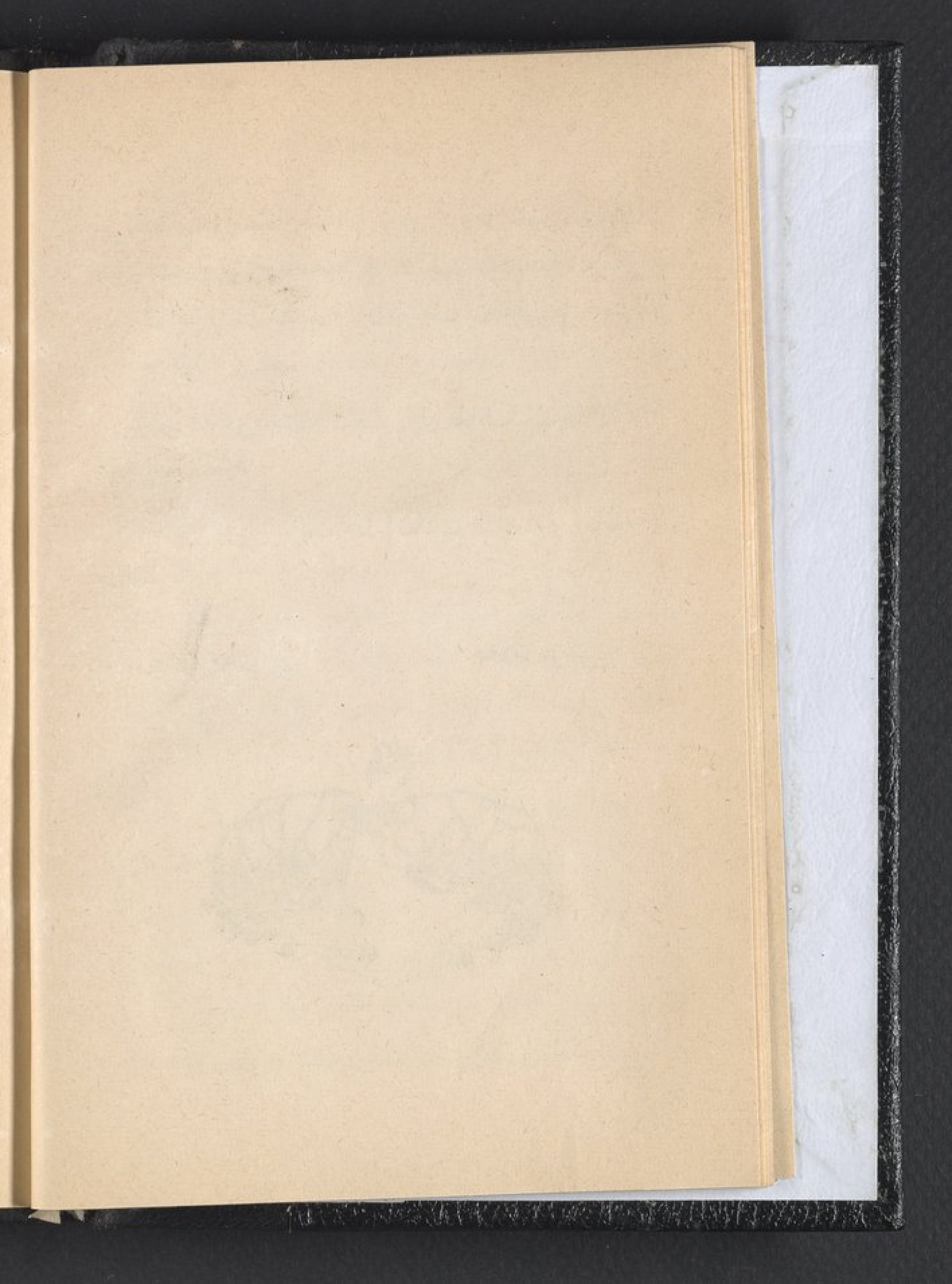
وظنى أنه حتى هؤلاء ، سيجدون فى هذا الكتاب أفقاً جديداً يتجه إليه تفكيرهم

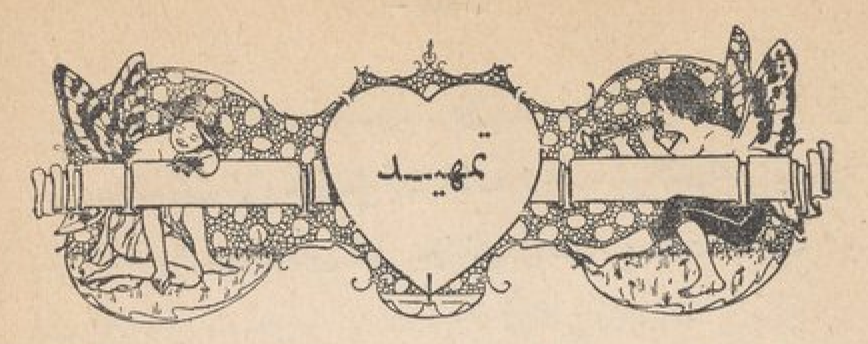
وحسبى من تأليف هذا الكتاب التنبيه ، ثم المناقشة ، ثم العمل ؟

مارس ١٩٤٥

سلامه موسى







تمهيد

أعظم المؤسسات فى أية أمة هو لغتها . لأنها وسيلة تفكيرها ومستودع تراثها من القيم الاجتماعية والعادات الذهنية .

واللغات تتفاوت . فهى مجموعة صغيرة من الكلمات قد لا تزيد على ثلاثمئة كلمة عند احدى القبائل البدائية ،وهى قد تبلغ مئة ألف كلمة عند أمة متمدنة قد ارتقت فيها الفنون والعلوم .

واللغة الراقية هى علم وفن وفلسفة . بمعنى انه يمكننا أن ننظر اليها النظر العلمى ،فنبحث أصولها ،ونميز بين معانيها ، بل نضع الكلمات الجديدة لتأدية المعنى الجديد . ويمكننا أن ننظر إليها النظر الفنى ، فننشد بالكلمات والجمل رفاهية ذهنية لا تؤديها الدقة العلمية . وكذلك يمكننا أن ننظر إليها النظر الفلسفى ،فنضع الكلمات الجديدة أو نكسب الكلمات القديمة معانى جديدة تؤدى بعد ألفتها فى المجتمع إلى حال منشودة من الخير .

وغاية اللغة قبل كل شىء هى الفهم . ولم نصل بعد إلى اللغة المثلى ،بل نحن لا نكاد نعرف كيف تكون، إذا جعلنا الفهم أول غاياتها . فقد وصلنا فى العدد إلى الأرقام الهندية فكانت أعظم

خطوة لغوية فى الحساب والعلوم . فهل نستطيع يوما ما أن نصل فى سائر الموضوعات إلى لغة تنقل إلينا الفكرة الفنية أو العلمية أو الفلسفية بمثل الدقة والسهولة اللتين ننقل بهما إلى أذهاننا عدد الألف أو المليون . . ؟

وإلى أن نصل إلى هذه الغاية ستبقى اللغة عاجزة عن التعبير الدقيق . إذ يجب أن نذكر من الآن اننا لا نعرف الدقة التامة فى أى علم من العلوم إلا إذا استطعنا أن ننزل بحقائقه إلى الأرقام . ولذلك ليس مفر من أن نقول ، إن الرقى فى اللغة يعنى الدقة ، وهو يقاس بها . فما دامت الكلمة مسيبة فى المعنى تحتمل هذا المعنى ونصفه فضلا عن معنيين مشتبهين فانها تضر التفكير ، كالآلة التى لم يحكم بناؤها ولا يمكن التكهن بمنتجاتها . والانسان حيوان لغوى ، يرى ويسمع ويفكر باللغة . ولكل كلمة إيحاء معين فى أذهاننا . ففى مصر تقول « وزير » وفى الولايات المتحدة الأمريكية يقولون « سكرتير » والعمل الذى يؤديه الوزير والسكرتير واحد . ولكن إيحاء الكلمة الأولى أرستقراطى . وإيحاء الكلمة الثانية ديمقراطى . ولهذا أثره البالغ فى الشعب الذى يلوك إحدى الكلمتين ، كما له أيضاً أثره البالغ فى نفس الموظف الذى يصف نفسه بأنه سكرتير أو وزير . فهو متواضع فى الحال الأولى ، منتفخ فى الحال الثانية .

وللكلمات توجيه اجتماعى بعيد الأثر فى المجتمع . فان كلمة «البِر»

وفى ١٩٢٦ بلغ مجموع الـكلمات التى عرفتها ثلاثين كلمة

وفى ٢٩ يناير من ١٩٢٦ مشت على قدميها مع الأطفال

وفى ٧ يونية من ١٩٢٦ رفضت أكل الرمم

وفى ٦ ديسمبر من ١٩٢٦ أبدت حياء ورفضت الخروج من غرفة النوم بدون ثياب . وكان عمرها وقتئذ من سنة ولادتها ١٤ سنة ومن يوم تركها للذئبة ٦ سنوات

وفى ١٤ يناير من سنة ١٩٢٧ بلغت كلماتها ٤٥ كلمة

وفى ١٥ يوليـة من ١٩٢٧ بدأت تخشى الـكلاب إذا نبحتها

وفى ١٤ نوفمبر من ١٩٢٩ ماتت وعمرها نحو ١٧ سنة

* * *

ولنا فى حياة هـذه الفتاة الهندية المخطوفة مغزى بل طائفة من المغازى .

المغزى الأول : إن السلوك يستقر فى السنوات الأولى من الطفولة، ربما كانت السنوات الأربع أو الخمس أو الست . و اننا بعد ذلك يشق علينا إلى ما يقارب الاستحالة إن نغير هـذا السلوك . ونعنى بالسلوك الاستجابات العاطفية التى ينشأ عنها تصرفنا

والمغزى الثانى : إن ما نسميه طبيعة وغريزة إنما هو فى أحوال كثيرة تعليم وقدوة . حتى المشى ننساه إذا عشنا مع ذئبة . بل يذكر المؤلف إن هذه الفتاة عندما قبض عليها كانت قد برعت فى المشى

على أربع حتى كانت تسبق المطاردين لها من البشر

والمغزى الثالث : إن أسلوبنا الذى نتخـذه فى المشى والخوف والأكل والشرب والغضب – كل هذا مكتسب بالوسط وليس وراثيا

والمغزى الرابع ، وهذا هو الذى قصدنا إليه من هذا الفصل ، إن اللغة هى التى تعين لنا السلوك والتصرف البشريين . فان هـذه الفتاة قبض عليها وهى فى الثامنة فاحتاجت إلى سنتين لكى تقول «ما» للرئيسة ولكى تقول «بهو . بهو . » فى طلب الطعام والشراب وبدأ ذكاؤها عندئذ يتفتق . فكان استظهار الكلمات ترافقه تغيرات فى السلوك . وهذه التغيرات تدل على حركات ذهنية وتفاعل بين الفتاة والوسط

فاذا كان أحدنا يعيش فى غابة أو صحراء منفرداً بلا لغة فان ذهنه لن يتفتق بل يبقى مغلقاً مثل هذه الفتاة الهندية من حيث الاعتبارات البشرية . ولم تكن هذه الفتاة جاهلة من حيث الاعتبارات الذئبية ولكن ذهنها كان عاطلا عندما قبض عليها وعمرها ثمانى سنوات وبقى عاطلا أو كالعاطل إلى أن ماتت بعد أن بلغت ١٧ سنة لأنها لم تحصل إلا على ٤٥ كلمة أى مقدار ما يمكن أن يعرفه ابله . فهى من حيث الذكاء الطبيعى ربما لم تكن ناقصة ولكن من حيث تفتق هذا الذكاء كان النقص واضحاً . وأكبر أسبابه انها كانت خرساء لاتعرف الكلمات البشرية التى تحمل إليها العواطف والأفكار البشرية .



اللغة والتطور البشرى

هناك أسباب كثيرة لتطور الانسان الذى وصل به إلى السيادة على سائر الحيوان . فان ضخامة دماغه قد أعدته للتفكير السديد . ثم قامته المنتصبة قد حررت يديه فجعلته يحمل الآلات . ومن ثم صار تفاعل بين العقل واليد . الأول يتخيل ويخترع ،والثانية تتناول وتنفذ . ثم هناك العينان فى الوجه (وليس فى الصدغين كما فى سائر الحيوان) فانهما تشرفان على مجال فسيح يجمع بين أشياء كثيرة ويجعل العقل قادراً على المقارنة والتميز .

ولو كان دماغ الانسان صغيراً لما قدر على التفكير . ولو كانت يداه على الأرض يمشى بهما ،لما قدر على تناول الآلات والأشياء . ولو كان اعتماده على الشم بدلا من النظر لصغر المجال الذى يشرف منه على الوسط، فما كان عندئذ يجد المادة للتفكير الجامع التعميمى

فالدماغ واليد والعين كلها تجمعت وتعاونت لرفع الانسان فوق الحيوان . ولكن هناك عاملا آخر كثيراً ما يهمل هو اللغة . فان الانسان قبل كل شىء حيوان لغوى . وللحيوان صوت ولكن

للانسان لغة . وفرق عظيم بين الاثنين . فان الحيوان عندما يتألم أو يخاف يصرخ . والصراخ هنا ذاتى يعبر عن احساسه . ولكن الانسان عندما يتألم أو يخاف ينادى . فهو هنا موضوعى ، قد نقل احساسه إلى غيره من زملائه .

ومع هذا لايزال حتى الصراخ غير عام بين الحيوان وقت الخوف أو الألم . فان السباع وحدها هى التى تصرخ ، كما نرى فى القط والكلب والأسد . أما البهائم مثل البقر أو الحمير أو الخراف فلا تصرخ عندما تتألم أو تخاف .

ولكن يجب ألا ننسى إن الصراخ ذاتى . أما النداء فموضوعى . الأول عاطفة كله . والثانى عاطفة وعقل . الأول حركة عقيمة لا تتحيز غير مكانها . أما الثانى فدعوة إلى المجتمع .

والحيوان لعجزه عن اختراع اللغة لا يختزن تفكيره ولا ينتفع لهذا السبب بتفكير آبائه أو زملائه . ولكن اللغة عندنا جعلت الزمن تاريخيا ، والفضاء جغرافيا . فالكلب الذى يعيش فى القاهرة يعرف الشارع الذى به منزله و بضعة شوارع أخرى . ولكن الصبى يعرف « جغرافية » القاهرة ومكانها فى القطر ومن النيل بل مكانها على كوكبنا . فالفضاء عنده جغرافى بفضل هذه الكلمات : القاهرة . النيل . مصر . البحر المتوسط . أفريقيا . آسيا . الخ . وخيال الصبى لهذا

السبب يتسع وتفكيره يمهر بهذه الكلمات التي ورثها من المجتمع الذي يعيش فيه .

وكذلك الشأن في الزمن . فان وقت الكلب هو ساعته أو يومه . أما نحن فلنا أمس وغد . ولنا سنين ماضية وسنين قادمة . ولذلك لنا تاريخ .

ولولا الكلمات التي جعلت الزمن تاريخياً ، والفضاء جغرافياً ، لما استطعنا أن نفكر ونختزن اختباراتنا ، فضلا عن اختبار معاصرينا وأسلافنا . أي لما كان لنا ثقافة . والحيوان ينتفع باختباراته الشخصية التي مرت به في حياته . ولكنا نحن - بفضل اللغة - ننتفع باختبارات غيرنا في العصور الماضية والعصر الحاضر .

وتفكيرنا يمتاز من تفكير الحيوان بالذكاء ، لسبب عظيم يتصل بالأسباب التي سبق فذكرناها . نعني إننا نفكر بالكلمات . وصحيح اننا نستطيع التفكير الساذج البدائي بلا كلمات كما يحدث في الأحلام ، ولكن التفكير الذي تتداخل فيه العوامل وتنبسط ساحته يحتاج إلى كلمات . ويكاد يكون من المستحيل أن نفكر بذكاء أو منطق في أي موضوع بلا كلمات . وليس بعيداً أن يكون التفكير في صميمه كلمات غير منطوقة كما يقول واطسون . واعتقادي اننا ننسى اختباراتنا في السنتين الأوليين من أعمارنا لأننا لم نربط هذه الاختبارات بكلمات

تجعل التفكير فيها ممكنا لأنها لم تنقش فى الذاكرة بكلمات . . .

وكثير من التفكير الحسن، بل أحياناً من العبقرية، يعود إلى أن اللغة التى نستعمل كلماتها قد بلغت من الرقى درجة عالية . لأن الكلمات فى هذه اللغة تحمل المعانى الأنيقة الدقيقة التى لا توجد فى كلمات لغة أخرى متخلفة . ويتضح هذا عندما تقارن بين اللغة الألمانية وبين لغة متخلفة من لغات أفريقيا السوداء . فلو ان «جيته» ولد فى قبيلة أفريقية لما استطاع أن ينتج الثمرات الزكية التى تقطفها من مؤلفاته لأن اللغة القبيلية لم تكن عندئذ لتسعفه بالكلمات التى تؤدى معانيه . بل كانت تبقى هذه المعانى أجنة تؤلمه بالمخاض ولا تجد المخرج من ذهنه، أو تخرج جهيضة .

فلكى نفكر التفكير الحسن نحتاج إلى اللغة الحسنة، نعنى اللغة الدقيقة التى تؤدى معنى معيناً ولا تتجاوزه إلى هوامش المعنى . وكذلك يجب أن تكون أنيقة لا تستطيع وصف الألوان الأصلية كالأبيض والأسود فقط بل تستطيع أن تنقل إلينا الظلال والاصباغ التى بينهما . فليس من البلاغة أن تقول إن الأخضر يطلق على الأسود كما تقول معاجمنا . بل يجب أن نميز لوناً من آخر تمييزاً صارماً . كذلك يجب أن نضع الكلمات التى تعين الألوان الخفية بينهما . ويجب أن

تـكون لنا بلاغة عصرية لا تقتصر على مخاطبة العواطف بل تخاطب العقل . ويجب أن تـكون غايتها الأولى الفهم . وما دام الأمر كذلك فان المنطق هو الأساس الأول لأية بلاغة يراد بها التعبير السديد . .

ولكى نفهم الفهم الدقيق الأنيق باعتبارنا متمدنين يجب ألا نقنع بالمعنى الغامض المسيب بل يجب أن نعرف الجو السيكلوجى الذى تعيش فيه كلماتنا . وهل هى تؤدى الغاية الأولى من وجودها وهى التفـكير الحسن (أى الفهم) أم لا ؟





حين تربى الذئبة الانسان

كثيراً ما كنا نسمع عن أطفال بشريين يعيشون مع الحيوان وينشأون النشأة الحيوانية . وكنا نحمل هذه القصص على انها نوع من الاختراع الذى لا يصدق . ولكن الواقع يثبت إن هناك أطفالا خطفتهم الحيوانات وقامت بتربيتهم . فنشأ هؤلاء الأطفال وعاشوا فى الغابات .

والذئبة أقرب الحيوانات إلى اتخاذ مهمة الأمومة للطفل البشرى . وسبب ذلك إنها تغزو القرى والحقول المجاورة . وأكثر ما يكون هذا فى الليل،وأقله فى النهار . فاذا وقعت على طفل فى الحقل غفلت عنه أمه حملته لكى تأكله . فاذا تلمس الطفل حلمات ضرعها ورضع تحرك حنوها فعطفت عليه . وأخذت عاطفة الأمومة والرعاية مكان عاطفة الجوع والأكل . وعندئذ ترعاه كأنه ابنها . ويتفق هذا فى القليل النادر .

والمعروف إن الرضاع يثير فى الأم حنواً لا تحسه قبله . ولذلك فانه يقال،إن المرأة التى تريد أن تتخلص من وليدها عقب الولادة

بقتله أو نبذه ، إنما تفعل هذا قبل أن ترضعه لأنها لا تحس حنواً عليه .
فاذا أرضعته شق عليها الانفصال منه وحنت عليه .

وهناك حوادث تم تحقيقها وثبت ثبوتاً مؤكداً فيها إن الذئاب خطفت بعض الأطفال فنشأوا فى جحورها وعاشوا مع الذئاب .
ويمكن القارىء المستطلع أن يقرأ كتاب المستر جيسل عن « طفل الذئاب وطفل الانسان »

Wolf Child and Human Child; by A. Gesell.

فان المؤلف كان يعيش فى الهند سنة ١٩٢٠ فسمع عن صبى بشرى يعدو عند الغسق مع ذئبة و يسلك سلوكها . وكان بالطبع لا يصدق هذه الاشاعة . ولكنه بعد تكرارها عمد إلى بندقيته وتعقب الذئبة الى الجحر ، فقتل الذئبة وقبض على صبيتين كانتا فى جحرها . وكان هذا فى ١٧ اكتوبر من سنة ١٩٢٠ . وكتابه هو قصة هاتين الصبيتين .

ولنترك الصغرى منهما لأنها ماتت بعد سنوات . أما الكبرى فيرجح المؤلف انها ولدت سنة ١٩١٢ ولا يعرف متى خطفت . وكان المؤلف وزوجته يديران ملجأ . فوضعت الصبية فيه وكان عمرها وقتئذ ثمانى سنوات . فكانت فى النهار تنام أو تقعد ووجهها إلى الحائط . فاذا جاء الليل نشطت وصارت تجرى على أربع : يديها وركبتيها . وكانت تشرب الماء لعقاً بلسانها من الاناء الذى تنحنى فوقه

وتلعق منه كالكلب أو الذئب . ولم تكن تخشى الظلام . فاذا كانت ساعة معينة فى الليل لا تتغير ، عوت عواء الذئاب . و إذا اقترب منها أحد كشرت عن أنيابها . وكانت تفتش على الرمم وتأكلها . وكانت تحب جراء الكلاب وأطفال الماعز والقطط والفراخ وتلعب معها جميعها ولكنها كانت تنفر من الأطفال البشريين.

قلنا إنه قبض عليها فى ١٧ اكتوبر من سنة ١٩٢٠ . ونقول إنها بقيت تمشى على أربع بل تنهض على أربع إلى ٢٤ مايو من سنة ١٩٢٢ حين وقفت على قدميها بعد أن أغريت على ذلك .

وفى أغسطس من ١٩٢٢ وقفت على ركبتيها وأكلت من الطبق بيديها بدلا من أن تأكل بفمها مباشرة . ولكنها مازالت إلى هذا التاريخ تلعق الماء

وفى نوفمبر من ١٩٢٢ قالت « ما » لرئيسة الملجأ وقالت أيضاً « بهو . بهو . » فى طلب الماء أو الطعام . ولم تكن قد نطقت قبل ذلك بكلمات . مع إنها كانت تصرخ أو تصيح

وفى ١٠ يونية من ١٩٢٣ . وقفت وحدها على قدميها بلا اغراء

وفى ٩ يناير من ١٩٢٤ بدأت تخشى الظلام . وكانت أيام توحشها مع الذئبة تخشى النهار وتختبىء ثم تنهض فى الليل وتغزو الحقول والقرى مع أمها الذئبة

وفى ١٩٢٥ شربت من كوب على الطريقة البشرية

من أشرف الكلمات الموحية التي تربي الأبناء وتبعث على التعاون والاخاء ، فى حين أن كلمة «الدم» تُحدث فى كل عام فى بعض مديريات الوجه القبلى نحو ثلاثمئة قتيل ، لأنها تحمل شحنة عاطفية تجعل كثيراً من الرجال يقتلون بلا روية .

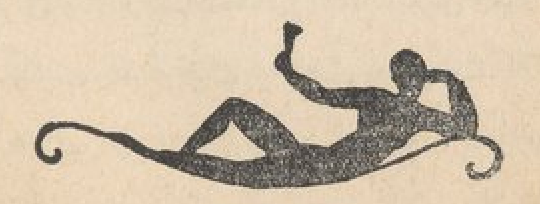
والكاتب المتنبه الذى يحس الوجدان الاجتماعى يجب أن يؤكد المعانى البارة للأمة وأن يضع الكلمات الجديدة لكى يوجه التوجيه الفلسفى أو الاجتماعى . وبذلك تنمو اللغة وتتطور ولا تركد . واللغة فى تفاعل لا ينقطع مع المجتمع الذى ينطق أفراده بها . والقيم اللغوية فى تغير دائم لهذا السبب . والمحاولة لوقف هذا التغير هو تعطيل للتطور الذهنى للأمة ....

ومن الغايات الشريفة لكل لغة الاقتصاد فى التعبير . فاللغة الحسنة تتوقى المترادفات لأنها ثرثرة صبيانية يضيع بها الوقت . والكاتب الذكى يحيل المترادفات من التوحيد إلى التنويع . فنحن نميز الآن بين الذهن والعقل ، وبين الروح والنفس ، وبين الحكومة والدولة ، وبين المثقف والمتعلم . وهذا حسن . وكذلك نحن نتبع الأسلوب التلغرافى ونتخير الكلمة التى تحمل المغزى فضلا عن المعنى

وهذا الكتيب قد توخيت فيه بحث بعض مشكلاتنا اللغوية مع تعيين الأهداف التى نرمى إليها من اللغة . وأرجو أن أبعث به المناقشة عن القيم اللغوية العربية ، ووجوه الاصلاح فيها بالبناء

والهدم. فنحن أمة متطوِّرة، فيجب أن تكون لنا لغة متطورة، بل لغة متمدنة تتسع للتعبير عن نحو مئة وعشرين علماً وفناً لم يكن يعرفها العرب الذين ورثنا عنهم لغتنا . ويجب أن يتغير رأينا فى البلاغة عما ألفوه . فانهم كانوا يقصدون منها إلى انها فن لمخاطبة العواطف، ولكننا يجب أن نزيد على هذه الغاية غاية أخرى، هى أن تكون البلاغة علماً يراد به مخاطبة العقل . لأننا نعرف إن الحضارة التى نعيش فى أحضانها قامت على الأرقام الهندية التى تخاطب العقل فى دقة وبساطة أكثر مما قامت على الاستعارات والمجازات التى تخاطب العاطفة فى اغراق ومترادفات .

وكلمات اللغة هى بمثابة النقود التى نتعامل بها . وكثيراً ما يكون فيها النقد الزائف أو القديم الذى بلى وانمسح منه نقشه . والأمة التى تهمل كلماتها ولا تجددها ولا تسكّ الكلمات الجديدة هى أخسر من الأمة التى تجيز التداول للنقد الزائف . لأننا نشترى بنقود المعدن أو الورق حاجات الجسم، ولكننا نشترى بالكلمات حاجات الذهن والروح والأخلاق والرقى .



ومع إنها قضت فى عشرة البشر سبع سنوات فان ذهنها لم يتفتق إلى الدرجة التى كان يبلغها الطفل فى هذه السن .لأن الطفل يولد ولوحة ذهنه مسحاء تتقبل التعليم الجديد . ولكن هذه المسكينة التقت بالبشر ولوحة ذهنها حافلة بالعواطف التى بعثتها فيها عشرة الذئاب . ومن هنا صعوبة تعلمها

واللغة هى التى تجعل الزمن تاريخياً والفضاء جغرافياً . وهذه الفتاة حرمت من اللغة فحرمت بذلك من الفهم . وشرعت تفهم السلوك البشرى وتمارسه بدلا من السلوك الحيوانى حين تعلمت الكلمات. وكانت كل كلمة جديدة تعين لها فكرة جديدة أو عاطفة جديدة





الانثربولوجية

واللغة العربية

كان يمكن أن أستغنى عن هذا الفصل فى هذا الكتيب . ولكني أعالجه فى سرعة وايجاز لكى أجعل القارىء يألف الطريقة ويدخل فى المزاج اللذين تتألف منهما اللغات بل وترتق

فان الكلمات أصوات نشأت بين البرمائيات كالضفدع لكى ينادى الذكر الانثى . وكانت غايتها الاولى لهذا السبب جنسية . بل ما زلنا نرى ان أغاريد الطيور التى تنضح بها الجو فى الربيع انما يقصد بها فى الاغلب نداء الجنس الآخر للتناسل . والصوت يعبر عن العاطفة . ولذلك يجب ألا نستغرب قول فرويد ان الباعث الاولى للنشاط البشرى هو الشهوة الجنسية . ويجب ألا يصدمنا هذا القول لأن فرويد قد بصر من خلال هذا القول الى الجذور الاولى التى تختفى فى جوف التطور . ومهما تنتشر الفروع وتبسق فى السماء فان جذورها لا تزال فى الارض

ولغتنا العربية مجموعة أو خليط من كلمات الحضارة والبداوة بل والغابة الاولى حين لم يكن يعرف الانسان الزراعة أو الصناعة

انظر مثلا الى كلمة « كُخّ » التي تعم جميع البشر فى نهى الطفل عن شيء . فانا وانت والقردة والانجليز والالمان والصينيين والهنود والاغريق الخ سواء فى هذا الكلمة التليدة

ونشأت لغتنا كما نشأت جميع اللغات فى الاوساط البدوية الاولى. وكان استنباط المعانى يجرى وفقا للوسط . ونستطيع الآن بتحليل الكلمات والرجوع الى أصولها القديمة أن نعرف العقائد والقواعد الاجتماعية التى كان يعيش أسلاف العرب فيها . انظر مثلا الى كلمة « الحياة ». فانها مشتقة من « الحيا » أي عضو التناسل عند المرأة . وما زال الفلاحون عندنا يقولون « حيا البقرة » أو « حيا الفرس». وقد كان الانسان البدائى لا يعرف ان علاقة الرجل بالمرأة تؤدى الى التناسل فكان يعتقد ان الام هي الاصل الوحيد للأولاد . بل انه كان يصنع التماثيل « للحيا» ويحملها باعتقاد ان الحيا أصل الحياة وانه مادام يحمل تمثاله فانه سيعيش وينجو من المخاطر .وعلى هذا الاعتقاد، بأن الام هى كل شيء ،صار النظام الاجتماعى عند الانسان البدائى أمويًا . وهذا واضح عند قدماء العرب ، و يتضح أكثر عند ما نعرف أصل كلمة « الضمد » أو « الحماة »

وتطور الناس وانتقلوا من النظام الاموى الى النظام الابوى . ولكن بقيت فى لغتنا « الحياة » تدل على أصولنا وجذورنا الاجتماعية.

ثم من الرحم اشتق الناس الرحمة . أي ان الرحمة كانت فى الاصل العلاقة القائمة بين أبناء الرحم . وهذه الكلمة تدلنا على ان النظام الاموى سبق النظام الابوى . ثم ارتقى الناس فصارت الرحمة فضيلة عامة بين أبناء القبيلة أو الامة . كما اشتققنا نحن الاخاء البشرى من الاخوة بين أبناء العائلة

وكذلك عرف الانسان البدائى الروح من الريح . والنسمة من النسيم . والنفْس من النفَس (بفتح الفاء) لأن الفارق الوحيد عنده بين الحياة والموت لم يكن أكثر من التنفُّس . فاذا انقطع كان الموت . ومن هنا نشأت عقيدة الروح

وهذه الكلمات وكثير غيرها تكشف لنا عن اللبنات الاولى التى تكوّن بها أساس اللغة العربية . ولكل كلمة منها مغزى انثربولوجى يوضح لنا نشأة الافكار والعقائد

فنحن في عصرنا نميز مثلا بين الاسود والازرق والاخضر ولكن معاجمنا لا تزال تحتفظ بالمعنى القديم لهذه الالوان وهى انها لون واحد ، ويشارك العرب معظم الامم البدائية فى اشتقاق المَلاحة بمعنى الظرف والصباحة من الملح . لأن الملح كان من الاشياء الثمينة التى لم يكن يحصل عليها غير المترفين

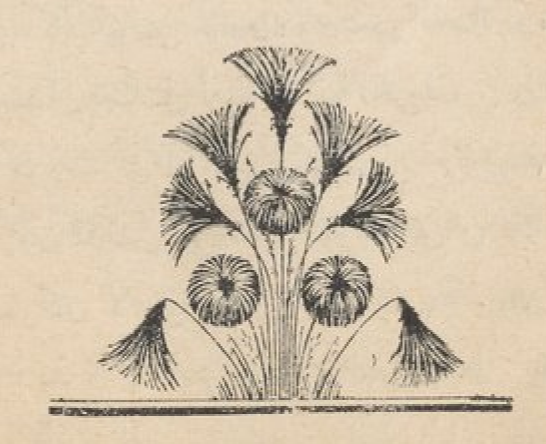
واعتبر أيضا اشتقاق المساعدة من الساعد . لأن المساعدة تعنى ان أحدا يستعمل ذراعه فى خدمتنا . واعتبر الانفة من الانف ، والشم

من الشم . لأننا حين نأنف من شيء نرتفع بأنوفنا . أو انظر كيف اشتقت المعاقبة من التعقب. لأن الانسان البدائى كان يعاقب خصمه بأن يتعقبه حتى يجده ويثأر منه . وما زالت معاجمنا تقول : « تعقبه : تتبعه وأخذه بذنب كان منه». أو انظر الى كلمة « كفّ » بمعنى منع، فانها مشتقة من الكف أى باطن اليد . لأننا نمنع الناس بأيدينا أى بكفوف أيدينا . والكنيف سُمّى كذلك لان بمثابة من يضع كفه على عينيه . ثم انظر الى فعل « احصى » بمعني عدّ . فانه مشتق من الحصا أى صغار الحجر . وذلك لأن الانسان البدائى كان يجهل العد بالارقام.فكان اذا شاء مثلا أن يعرف ماعنده من خراف وضع فى جعبته عن كل خروف حصاة . فاذا شاء العد اخرج حصاة عن كل خروف. وحسبه هذا . وقد اشتق الرومان الحساب والعد على هذه الطريقة نفسها كما نرى فى الفعل الانجليزى « كالكيوليت Calculate» بمعنى حسب من « كالكيولس Calculus » بمعنى الحصاة أو الحجر

والمشهور ان لغتنا فى أصلها ثلاثية الحروف . ولكن الاغلب انها كانت ثنوية . أى ان كلماتها كانت من حرفين فقط . فها هنا أربع وعشرون كلمة تدل على معان متقاربة،وهى ان شيئاً قد خرج من شيء . وربما كان الاصل البائد لها جميعاً «نب» . وهى نبأ . نبت . نبث . نبج . نبذ . نبر . نبس . نبش . نبض . نبط . نبع . نبغ . نتأ . نتج . نفث . نفخ . نفذ . نفر . نفض . نفط . نط . نطف . نطق .

وهذه الكلمات مترادفة فى معنى الشيء يخرج من شيء آخر . ولكن من مصلحة اللغة والفهم أن نعين لكل منها معنى يختلف عن الآخر . وهذا هو ما قضى به منطق اللغة والتمييز الذهنى

ومن هذا الفصل الموجز ، يتضح لنا ان كل لغة انما هى بمثابة المصنع الذى يعيش فى عصرنا، ومع ذلك يجمع فى مستودعاته فأساً من الحجر كانت تُستعمل قبل ثمانية آلاف سنة ، وابرة من الشوك كان أسلافنا يستعملونها قبل مئة الف سنة، وسيفاً من البرونز كان يستعمل قبل أربعة آلاف سنة،و بين مصنوعات أخر مثل الرديوفون والمصباح الكهربائى والسولفانيلاميد . ومن هنا هذا الارتباك الذهنى الذى يؤدى الى قلة الفهم أو اختلاطه . ذلك لأننا نستعمل أدوات قديمة لكى تؤدى لنا خدمات جديدة .





اللغة والسيكلوجية

الحق" ان هـذا الـكتاب بجميع فصوله هو بحث سيكلوجى فى القيم اللغوية . واذا كان هـذا يجرنا الى ابحاث أخرى اجتماعية أو تاريخية فان الغاية الاولى يجب أن تبقى ماثلة وهى اننا ننظر الى اللغة خلال العدسة السيكُلوجية

ولم تعط اللغـة سوى القليل من حقها من الدراسة السيكلوجية الى الآن. وصحيح ان الرغبة فى الدعاية قد حملت قليلين على هـذه الدراسة فى اللغات الاوربية ،ولـكن الموضوع لايزال فى أولياته . وهو بِكر فى اللغة العربية

وقيمة اللغة فى التفكير وفى السلوك لاتزال الى حد كبير مجهولة . والعجب اننا لم نلتفت من قبل الى اننا نفكر بالـكلمات. واننا لانعرف حقائق الاشياء التى نتناولهابالذهن أو باليد ،وانما نعرف أسماءها فقط . وكثيراً ما يختلط علينا الاسم والمسمّى. فنظنهما شيئاً واحداً . مع ان الحقيقة هى ان الـكلمات رموز للاشياء . والشبه بينها و بين النقود كبير هنا . فان القرش قطعة من المعـدن نرمز بها الى قوة شرائية معينة .

ولكن هذه القوة خاصة بنا نحن، أى بمجتمعنا ، وليست خاصة بالقرش من حيث انه قطعة من المعدن

وكذلك الشأن فى الكلمات ، فانها رموز فقط ، فاذا لم نتنبه الى هذه الرمزية فاننا نقع فى ألوان من السخف ،ونتورط فى أنواع من المعانى التى قد تضرنا بدلا من أن تنفعنا ، وتستبد بنا بدلا من أن نستخدمها . وكثيراً مايحدث هذا لنا . فان مانسميه تفكيراً مثلا ، انما هو ، أو معظمه فى أغلب الاحوال ، كلمات تجرى على المستوى العاطفى فتؤدى الى الانفعال بدلا من التفكير

ومنذ أن نولد يتسلط المجتمع علينا بالكلمات التى نتلقنها منه . فننشأ وقد فرضت علينا مقاييس اجتماعية وأخلاقية وروحية من هذه الكلمات . ونجد اننا نسلك سلوكا معينا بما غرسته هذه الكلمات فى أذهاننا من القيم. ونحن فى هذا السلوك نعتقد اننا أحرار . ولكن الواقع اننا مقيدون بهذه الكلمات التى بعثت فى أنفسنا انفعالات وا كسبت أذهاننا قيما لامفر لنا من التسليم بهما . لان هذه الكلمات قد تعلمناها من الصغر حين لم يكن قد نضج الذهن وتدرب على التساؤل والنقد . فنحن نسلم تسليما أعمى ولا نعترض على المغزى الذى تفرضه علينا الكلمة . فنحن نقول : التشاؤم . والسماء . والروح . والحياة . والشرف . والوطن . والشجاعة . الخ . ولم يقف أحدنا قط ويسأل : ماهذه الاشياء ؟ لان جميع هذه الكلمات تحدث فى أنفسنا

انفعالا نظن انه طبيعى لا يحتاج الى التساؤل. أو تحدث مقاييس ذهنية نعيش بها ونسلك فى حياتنا على مقتضاها . ونظن،حين نستعمل هذه الكلمات، اننا نفكر . والحقيقة ان التفكير هنا فى حدود هذه الكلمات لايتجاوزها . بل الواقع اننا لو شرعنا فى التفكير السديد المحكم فى أحدى هذه الكلمات لهاج علينا المجتمع . وذلك ان هذا المجتمع قد ورث هذه الكلمات وانتظم بمعانيها ومغازيها . فهو يأبى على الفرد أن يستقل و يفكر منفصلا عنه . لأن هذا التفكير هو عندئذ هجوم على هذا المجتمع ، أى على عقائده وعاداته الذهنية وعواطفه النفسية

ولكل منا مجتمعه الذى يتأثر به و يفهم معانى الكلمات كما أكتسبها منه . فكلمة الشجاعة ، مثلا ، تحمل طائفة من المعانى تختلف باختلاف المجتمعات

فالشاب فى حلبة المصارعة فى نادٍ رياضى يفهم من الشجاعة معنى خاصا . والجندى فى الجيش يفهم من هذه الكلمة معنى خاصا آخر يختلف من المعنى الاول . وحين اقول « شجاعة الاسد » التى تختلف أيضاً من المعنى الذى اقصده حين اقول «شجاعة شهداء المسيحية» ، افهم معنى يختلف مما اعنى حين اقول «شجاعة سقراط» . ثم لا ننس شجاعة اللص الذى نشأ فى عصابة تفتك وتغتال . ثم شجاعة ذلك الفيلسوف الذى يرفض القتال و يرضى بالاعتقال لأنه « عالمى » . ثم شجاعة الكاتب الذى لا يبالى الرأى العام . الخ

والكلمات بذلك لا تكسبنا اتجاها اخلاقياً على «المستوى الذهنى» فقط، بل تكسبنا أيضاً اتجاها مزاجيا على «المستوى العاطفى». فان كثيراً مما نشمئز منه أو نطرب له أو ننشط اليه يعود الى الكلمات التى تعلمنا وانغرست بها عواطفنا. وحسب القارىء ان اذكر له ان كثيراً من الرجال والسيدات فى مصر يشمئزون من الانكليس مع انه مثل سائر السمك بل يُعدّ من اجوده. وذلك لأنه يسمى « ثعبان ». بل انظر الى كلمة « بجعة » فانها اسم شنيع لطائر يعد تحفة فى الطيور. ولذلك لم يستطع شاعر عربى أن يستغل الطاقة الفنية فى هذا الطائر لشناعة اسمه. مع ان اسمه في الانجليزية والفرنسية جعل كثيراً من الشعراء الانجليز والفرنسيين يذكرونه فى اشعارهم. وكذلك يجب ان نذكر ان كثيراً من شعرائنا يذكرون « البلبل » بكثرة لحلاوة اسمه فقط اذ هم لم يروه قط. ومع انه ليس فيه شىء من جمال البجع

وهنا لنا عبرة. فاذا شئنا ان نعمم رأياً أو عقيدة فلنختر لهما اسما مغنطيسياً جذّاب

والخلاصة اننا نفكر بالكلمات. وكثيراً ما ننخدع فنظن اننا نعالج الاشياء فى حين اننا نعالج اسماءها فقط. ثم ان الكلمات تكسبنا اتجاها اخلاقيا او تكوّن لنا مزاجاً فنيا. وأحياناً تحمل الينا تقاليد هي رواسب الثقافة القديمة التى كثيراً ما تضرنا فى مجتمعنا العصرى

والفصول القادمة هي توسع في هذه المعانى.



البيئة واللغة

الاصل فى هذا الكتيب مقال نشره الاستاذ احمد امين بك فى « الثقافة » اشار فيه الى أن الكلمات تتغير معانيها بتغير الزمن والبيئة، جاء فيه :

« أن اللغة تؤدي معانيها فى دقة وإحكام فى مواد العلوم ، كالرياضة ، والطبيعة ، والكيمياء ، ومصطلحاتها مضبوطة قل أن يعتريها غموض أو إبهام . وقريب من ذلك التاريخ ، فاللغة قادرة على أداء معانيه وحمل رسالته أداء حسنًا ، وإن لم تبلغ فى ذلك مبلغ العلم ، فاذا نحن جاوزنا ذلك إلى الفلسفة والأدب رأينا اللغة مسكينة عاجزة عن أداء المعانى فى وضوح وضبط وإحكام ،حتى المصطلحات، من الصعب تعريفها وضبطها . فما أصعب أن تعرّف « الوجود ، والحقيقة » ، و « ما وراء الطبيعة » ، وما إلى ذلك ، وما أصعب ما تعرّف « الشعر » « والأدب » و « الخيال » ونحوها ، وكذلك فى فروع الفلسفة والأدب ، فمن الصعب تعريف « الجمال والجميل » ، و « الفضيلة والرذيلة » ، و «الزمان والمكان» و «العدل والحرية» ،

ومن العسير تعريف « القصة والرواية والمثَل » ، وما أكثر ما يقع الناس فى الجدل والحِجَاج لأن كلاً يتكلم وفى ذهنه معني للشىء غير ما عند الآخر ، ولو اتفقوا على التحديد لاتفقوا على النتائج . ولا أنسى حادثة رويت لى وهو أنه من زمان أرادت حكومة العراق التعاقد مع الحكومة المصرية بالمراسلة والخطابات ، فكان الاتفاق مستحيلاً لأن كلتا الحكومتين كان لها معنى خاص فى مصطلحاتها لا تفهمه الأخرى ، ولم يتم الاتفاق حتى تمت المشافهة والاتفاق على معانى المصطلحات . وسمعت محاضرة لفاضل عراقى فى التربية ، فثار جدل حول الموضوع تبين أن سببه الاختلاف فى المصطلحات ، فهم يطلقون اسم « المدارس الداخلية » على غير ما نطلق ، ويسمون «الفصل» مانسميه نحن بالسنة ، ويسمون «التوقيعات» ما نسميه نحن بالترقيات ، ويسمون « مدارس الحضانة » مانسميه نحن برياض الأطفال ؛ وهكذا .

« من أسباب وقوع الناس فى الخطأ اللغوى عدم دقتهم فى الاستنتاج ؛ فهناك عقول تستنتج من الجملة أكثر مما يلزم ، وهناك عقول تستنتج منها أقل مما يلزم ، وكلاهما خطأ . إذا قلتُ : « إن الغول مرعب » فاستنتجتَ منه أنى أقول : « إن الغول موجود » فقد أخطأتَ ، واستنتجت أكثر مما يلزم ؛ لأن الخيال قد يرعب ، والوهم قد يرعب ولو لم يكن الشىء موجوداً ، وإذا حدثتك عن فرس

بأنه أشهب، فاستنتجت أنى أقول إنه موجود،كان استنتاجك صحيحاً؛
ومن الناس من لا يفرق بين القضيتين . وليس الأمر مقصوراً على
الجمل ،بل دلالة الألفاظ على المعانى تختلف جد الاختلاف بين
الأشخاص بحسب مدنيتهم وثقافتهم وعقليتهم ، فاذا قلت: «كرسى»
لم يكن معناه عند الفلاح القروى كمعناه عند المدنى المتحضر ،وكذلك
الشأن فى كلمة « بيت » ، و « دولاب » ، و « سرير » ، وإذا
قلت : « علم الحساب » فمفهومها عند الصانع المتعلم تعلماً بسيطاً ليس
كالمعنى الذى يفهمه العالم بالرياضيات ، وهكذا . وهذا ما يجعل
الناس إذا اختلفت مدنياتهم وعقلياتهم وثقافتهم لا يتفاهمون تفاهماً
صحيحاً . ومن أسباب ذلك عدم دلالة الألفاظ على معان واحدة
فى الرءوس المختلفة ، ولا تصدق أن معاجم اللغة تستطيع أن تشرح
دلالة الألفاظ شرحاً تاماً صحيحاً ،فلكل كلمة هالة غير معناها الأصلى
يعجز المعجم عن شرحها ، فدنيا الأطفال التى تعين على شرح الألفاظ
غير دنيا الرجال ، ودنيا الفلاح غير دنيا المتمدن ، ودنيا الجاهل غير
دنيا العالم ، وكل يفسر الألفاظ حسب دنياه .

« يتصل بهذا أن كل لفظ من ألفاظ اللغة يوحى بأشياء تختلف
باختلاف الأشخاص حسب بيئتهم وتجاربهم فى الحياة وغير ذلك .
فكلمة أبيض توحى إلى الفلاح باللبن ، وقد توحى إلى الطفل بالسكر،
وقد توحي إلى سكان البلاد الباردة بالثلج ، وكلمة « وزير » توحى

الى الشرقيين بمعان غير ماتوحى به عنـد الغربيين ، وكلمة « العيد » توحى إلى الأطفال بمعنى الثياب الجديدة والأراجيح ، وعنـد أطفال آخرين بالهدايا تهدى إليهم ، وعند الرجال بالزيارات والتهنئات الخ ، وكلمة « البرلمان » و « نظام الحكم » توحى بمعان مختلفة فى الأفراد المختلفة والأمم المختلفة ، وهـذا سبب آخر من أسباب الاختلاف بين الناس فى الإفهام والفهـم ، فوحى الألفاظ عنـد الناس يختلف اختلافاً كبيرا .

« بل قد يكون اللفظ يوحى بمعنى عند الناس فى عصر لارتباطه بحادثة أو نادرة ، فإذا نسيت الحادث انقطع وحى اللفظ ، فمنذ سنين كانت كلمة « تعـديل الأساس » و « ردم البرك » ، و « الحكم الصالح » تستثير منا الضحك لايحائها بمعان خاصة فى ظروف خاصة ، فلما زال الايحاء زال التأثير . ولذلك أعتقد أنا فقدنا كثيراً من كتب الجاحظ وقطع الأدب الاجتماعى ، لأن بعض ألفاظها وجملها كانت توحى بمعان معروفة ، فلما تقادم الزمن جهلت فبطل سـحرها . إن شئت فاقرأ رسـالة التربيع والتدوير للجاحظ ، وهى تدور حول السخرية من « أحمد بن عبد الوهاب » تشعر بغموض فى بعض الجمل والإرشادات ،وسبب غموضها أنها كانت إشارات إلى أشياء مفهومة فى زمنها ، ثم انقطع وحيها فغمض معناها .

« ما وظيفة اللغة ؟ يخطئ من يظن أن اللغة تؤدى غرضاً واحداً ،

وهو نقل المعـنى من ذهن إلى ذهن ؛ فلها أغراض أخرى كثيرة قد يصعب حصرها ، وقد يبعد إدراكها . فمن أعجب أغراضها أحياناً أنها تستعمل لتخدير الأعصاب ، كتمرينات السحرة مثل ألفاظ « شمهورش » ، و « جلجلوت » ونحو ذلك ، فهي لا تؤدى معنى ، ولكن تخدّر الأعصاب بغرابتها وتأليف حروفها ، ولذلك لا يصح أن نحاول كثيراً فهم سجع الكهان فهماً تاماً ، فهى لم يقصد منها الإفهام التام بقدر ما قصد منها التخدير ؟ ؟ والمعانى المحلولة ، وأحياناً يقصد بالألفاظ مجرد ماتوحيه من نغمات موسيقية لها أثرها النفسى كأثر الموسيقى . ولذلك لم تكن تخلو الأدعية الدينية إذا تليت فى المعابد بلغة أجنبية من أثر قد يكون بالغاً ، لأن الألفاظ توحى بمعان سحرية موسيقية ، وإن لم تفهم معانيها الأصلية ؛ وهذه لغة الإنسان الأول كانت صيحات متشابهة اللفظ ، ولكنها أحياناً تدل على الخوف وأحياناً على طلب النجدة ، وأحياناً على التحذير من خطر ، وإنما تختلف دلالتها باختلاف موسيقاها »





اللغة والمجتمع

يجب على قارئ الفصل السابق أن يفهم أكثر مما قال الاستاذ احمد امين بك. أى يجب أن يفهم ان اختلاف البيئة والمجتمع والتاريخ والجغرافيا يغير معانى الكلمات التى نستعملها ، ونعتقد اننا سواء فى فهم معانيها . فعبارة « سلطة الحكومة » تعنى معانى مختلفة فى الهند والولايات المتحدة ومصر وألمانيا وروسيا واليمن . وهذا الاختلاف الذى ينشأ من الجغرافيا يقابله اختلاف آخر ينشأ من التاريخ . ومن هنا الصعوبة التى نجد فى فهم الكتب الدينية القديمة . لأنه كان للكلمات التى استعملت مثلا قبل الفى سنة ملابسات لانجد مثلها فى عصرنا . بل كذلك كتب التاريخ ، فان المؤلفين يلتفتون الى معان لم نعد نلتفت اليها . لان اللغة الحية تتفاعل مع المجتمع وتتغير بتغيره . أما اذا كانت لغة خاصة بالكهنة تتلى فقط فى المعابد فالتفاعل ينعدم . والكلمات عندئذ تتحجر أى تحتفظ بمعانيها على يدى المئات أو الالوف من السنين . ومثل هذه اللغة تعد فى القيمة الاجتماعية صفرا

فاللغة الحية تتفاعل مع المجتمع فتنحط بانحطاطه وترتقى بارتقائه ، أى

انها تتطور . وهي حين تتطور ينشأ بينها و بين المجتمع اتصال فسيولوجي ووظائف عضوية كما بين اليد والذهن ، كلاهما يخدم الآخر و ينتفع به

ولهذا السبب يجب ألا يكون للمجتمع لغتان احداهما كلامية أى عامية والاخرى مكتوبة أى فصحى ، كما هى حالنا الآن فى مصر وسائر الاقطار العربية . لأن نتيجة هذه الحال ان اللغة المكتوبة تنفصل من المجتمع فتصبح كأنها لغة الكهان التى لا تتلى الا فى المعابد و ينقطع الاتصال الفسيولوجى بينها و بين المجتمع فلا تتطور . ولهذا يجب أن تكون غايتنا توحيد لغتى الكلام والكتابة . فنأخذ من العامية للكتابة أكثر ما نستطيع ونأخذ من الفصحى للكلام أكثر ما نستطيع حتى نصل الى توحيدهما

واللغة الحية هى الجهاز العصبي للمجتمع أو الشبكة التلفونية التى يتخاطب و يتفاهم بها أفراده . فاذا عجزت عن تأدية هذا التخاطب والتفاهم فهى خرساء أى بمثابة الشبكة التلفونية المقطوعة أو التالفة . ويجب السرعة فى ترميمها

وقد عرفنا هذا الخرس فى كثير من شئوننا الثقافية . فان المسرح مثلا لم يرتق لاننا لم نستطع تأليف الحوار باللغة الفصحى بين أشخاص الدرامة . لان الكلمة الفصحى ليست « جوية » أى انها لا تنقل الينا جو الحديث . لأننا الفنا أن يكون الحديث باللغة العامية فترجمته

الى اللغة الفصحى يصدمنا و يشعرنا بان هذه الكلمة ليست فى مكانها، أى ليست فى جوها الاجتماعي

ولغتنا خرساء - والخرس هنا أوضح وأخطر - من حيث اننا جعلناها مثل لغة الكهان جامدة لا تتغير . وكانت نتيجة هذا ان فى العالم نحو مئة وعشرين علماً وفناً لا تنطق لغتنا العربية الا بنحو عشرة أو عشرين منها . ولكنها خرساء فى سائرها

فاللغات الانجليزية والالمانية والفرنسية وغيرها لغات ناطقة فى مئة وعشرين علماً وفناً . ولغتنا خرساء فى نحو مئة علم وفن . ولهذا السبب نحن جهلاء فى جميع هذه العلوم والفنون ما دمنا قد اقتصرنا على لغتنا . ونحتاج لكى نستنير بهذه العلوم والفنون الى درس احدى اللغات الناطقة

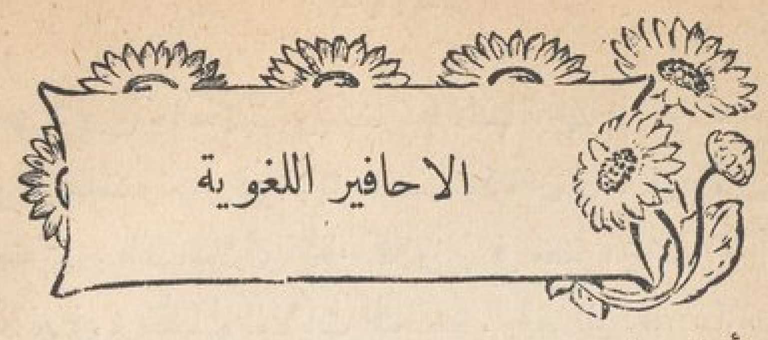
فالتفاعل القائم الآن بين لغتنا ومجتمعنا ليس تفاعلا صحياً . فان هناك انفصالا يحول دون ايجاد الدورة اللغوية كاملة به . ولذلك حدث المرض من هذا الانفصال وهو الجهل لنحو مئة علم وفن لايمكن أن نعرفها الا اذا تركنا لغتنا ونطقنا بلغة أخرى

ثم اعتبار آخر يجب أن نلتفت اليه . وهو اننا ورثنا كلمات كانت قبل الف سنة تعبر عن حاجات المجتمع العربى فى بغداد أو مصر أو دمشق . وهذا المجتمع كان اتوقراطياً ارستقراطياً . فورثنا كلماته الاتوقراطية الارستقراطية، مع اننا نحاول أن نكوّن مجتمعا ديمقراطياً.

ونحن نتأثر بهذه الكلمات ونستَضر بها لأنها توجهنا الى غير ما نحب من الوجهات وتغرس فى شبابنا عواطف نكره أن نراها فى القرن العشرين . فانظر مثلا أى إيحاء كلمة وزير فى مصر ، بجانب ايحاء كلمة سكرتير فى بريطانيا أو الولايات المتحدة . وانظر الى ايحاء عبارات : صاحب الدولة . صاحب السعادة .صاحب العزة . فانها جميعاً عبارات تفتت العقائد الديمقراطية التى تقول بالمساواة الاجتماعية.أو انظر الى كلمة « حضرة » التى لا يمكن ترجمتها الى أية لغة أوربية (ولكن يمكن ترجمتها الى اللغة الصينية . . .)

ثم انظر الى ما ورثنا من المجتمع العربى القديم بشأن المرأة . فقد الغى هذا المجتمع المرأة من الحياة الاجتماعية الغاء يكاد يكون تاماً . أما نحن فقد « رددنا الاعتبار » للمرأة المصرية . ولكن مازلنا نستعمل الكلمات القديمة فنقول « أم فلان » أو « حرم فلان » ولا نذكر الاسم ، مع ان الاسم جزء من الشخصية واهماله هو سبة للمرأة . ألا ترى كيف ان أحدنا يغتاظ اذا أخطأ أحد فى ذكر اسمه فقال «على حسين» بدلا من الاسم الحقيقى «حسين على» ؟ وهذا لأن كلاً منا يحس ان اسمه من كرامته وهو بعض شخصيته . واهمالنا لاسم المرأة هو تراث لغوى قديم يحمل الينا عقيدة اجتماعية يجب أن نكافحها

فيجب أن نؤلف بين المجتمع ولغته . فنجعل اللغة ديمقراطية اذا شئنا أن نكوّن مجتمعاً ديمقراطياً ؟



الاحافير اللغوية

أحافير الحيوان والنبات هى الاجسام المتحجرة التى مضى عليها الالوف أو ملايين السنين . ونحن نستخرجها من باطن الارض ونحفظها فى المتاحف لكي نعرف منها تطور الحياة . ولا يمكن أن نرد الحياة الى هذه الاحافير لأن الحياة قد أبادتها وارتقت عليها وأخرجت لنا أنواعا أخرى . وهذه الاحافير كانت في يوم ما من تاريخ الارض حية ، ولكن سنة التطور قضت عليها بالانقراض

وفى اللغات أحافير من الكلمات التى لا تجرى على لسان أو قلم ولكن المعاجم تحتفظ بها للدراسة كما تحتفظ المتاحف بأحافير الدينصور أو غيره . فاذا عمد كاتب الى استخراجها و بعث الحياة فيها فانه لن يصل من هذا المجهود الا الى تكليف المجتمع عبئاً لا ينتفع به

فالانسان القديم كان يعتقد ان عالمه حافل بالالهة والارواح الطاهرة والنجسة ، وان حياته مدبرة بها للخير أو للشر . وكان ينشد حظه فى النجوم والكواكب ، ويتيمن بحركة الطير أو يتشاءم بها . وكان الانسان القديم راضياً بهذا العالم يجد فيه منطقا للسلوك الحسن فكان يستعمل الكلمات التى تؤدى له هذه المعانى . وقد نبذنا نحن هذه العقائد ، ولكن بقيت الكلمات الغيبية القديمة التى نستعملها

فتفسد أذهاننا . حتى اننا من وقت لآخر نقرأ عمن يخاطبون الارواح أو يقرأون طالعنا فى النجوم . وما زلنا نتفاءل أو نتشاءم من حادث أو كلمة . وما زال للعفاريت والجن والنجوم سلطان على بعض النفوس التى لا تستطيع أن تتخلص من هذه الاحافير اللغوية . ذلك لان الطفل ينشأ وهو يستمع الى هذه الكلمات فتنغرس فيه عقائد يعجز عن التخلص منها حتى وهو فى الخمسين أو الستين من عمره

وأحياناً نجد رجلا ممتازاً فى العلوم التجريبية قد درب ذهنه على تحرى الحقائق المادية ينزع الى الايمان ببعض الغيبيات وكل ماعنده كلمة مثل « روح » يحملها ويجرى بها وراء المشعوذين الذين يبحثون له عنها تحت المائدة أو على ألسنة الدجاجلة الذين يستغلون تصديقه . وهو انما ينزع الى هذه الغيبيات بفضل كلمة أو كلمات تعلمها فى الصغر فغرست فيه عادات ذهنية لم يعد قادراً على التخلص منها

ولكن الاحافير اللغوية لا تقتصر على ما ورثنا من كلمات مثل الجن أو العفاريت أو الارواح ، فانها تتسرب الى لغتنا المألوفة حتى لنقول « علا نجمه » أو « أفل نجمه » أو نحو ذلك. ونحتاج الى شرح مسهب كي ننقل المعنى العصرى لصبياننا بهذه التعابير القديمة التى كانت حية ايام الفراعنة أو البابليين . وما دمنا نشرحها الشرح العلمى ونبين للصبي ان العقيدة القديمة كانت مخطأة واننا لا نرمي من هذا التعبير الا الى معنى النجاح والرقى أو العكس، فان كل الضرر ينحصر

عندئذ فيما تتكلف من شرح . وقد يكون لهـذا التعبير فائدة للصبي حين يعرف منه عقائد القدماء البائدة

ولـكن هناك أحافير لغوية كبيرة الضرر على مجتمعنا . ومن أسوأها فى مصر فى عصرنا هاتان الـكلمتان « شرق وغرب » فان كلمة شرق توحى الينا اننا بشر ننتمى الى أسيا وأفريقيا وكأننا على عـداء مع اوربا وأمريكا . ولما كان الاوربيون والامريكيون هم المتمدنون السائدون فى العالم فان عداءنا يغرس فى نفوسـنا كراهية للتمدن وعادات المتمدنين . ومعظم المقاومة التى للقبعة، بل كلها تقريباً، يرجع الى هذه الـكلمة « شرق » . لان المصرى يحس ان الشخصية القومية الشرقية تنهار باتخاذ القبعة التى تمتاز بها الشخصية القومية الغربية

وكلمات الغيبيات توحى عقائد غيبية تعيّن للمؤمن بها سـلوكا يتنافى مع المنطق ويؤخر عن تحقيق النجاح . وكثيراً ما يقعد أحـدنا فى الترام فيجـد جاره وهو يتلو كلمات غيبية يريد أن يحقق بها غاية اجتماعية أو اقتصادية . فبدلا من أن يعمد الى المنطق فيدبر الوسائل المادية والشخصية ، يتلو هذه الـكلمات ، وكأنه - كما كان يفعل البابليون - يستوحى النجاح من النجوم والـكواكب

ومن الأحافير اللغوية كلمات « الدم » ،« والثأر » « والعرض » فى بعض مديريات الصعيد. فان هذه الكلمات تؤدى الى قتل نحو ثلاثمئة امرأة ورجل كل عام . ولا بد ان بعض القراء سيثب الى القول بان

هؤلاء القتلة يذودون عن شرفهم . وكل ما أستطيع أن أرد به هو، ان سكان الوجه البحرى لا يقتلون مثل هذا العدد من الرجال والنساء لاجل « العرض » « والثأر » . فاما ان السبب انهم لا يستعملون هاتين الكلمتين فى حديثهم كما يفعل أهل الصعيد، واما انهم أقل اجراماً بطبيعتهم . والفرض الأول هو المعقول

وهناك أحافير لغوية كثيرة فى الشعر العربى القديم . فان الشاعر كان يعيش فى جو تلائمه كلمات معينة . فلما انقطعت الصلة بيننا وبين هذا الجو صرنا نجد هذه الكلمات غريبة عن أذهاننا وقلوبنا . فهى لاتضىء بصيرتنا ولا تنبه ذكاءنا ولا تحرك خيالنا . انظر مثلا الى الحداء وكيف اتصلت معاني الفعل من هذه الكلمة بكثير من الشعر والنثر وأدت الخدمة الادبية فى التعبير الحسن قبل الف سنة . ولكن من يحاول استعمالها فى عصرنا انما يستعمل كلمة من الاحافير اللغوية التى يجب أن يجد مندوحة عنها فى استعارات وعادات عصرية تلابس مجتمعنا

واللغة التى تلابس مجتمعنا هى لغة السوق والبورصة والمكتب والمصنع والنادى والبيت والكتاب والجريدة والمجلة والمنبر والمدرسة. أما اذا انفصلت واقتصرت على الكتاب وهجرت المجتمع فصار لنا لغتان ، فان لغة المجتمع ستبقى حية ولكن لاتجد العناية التى يستحقها الحى فهى تعيش فى وكس وضعف. وتبقى اللغة الاخرى كأنها أحافير تحفظ وتصان كما تصان لغة الكهنة فى المعابد عند المتوحشين



ضرر اللغة

كانت ولا تزال اللغة من أعظم الميزات البشرية لأنها جعلت التفاهم والتفكير ممكنين . بل جعلت الثقافة تختزن وتورث من جيل الى آخر وتنقل من شعب الى آخر . ولكننا نجد ان اللغة كثيراً ما تقلب التفاهم الى التباس . فيسيء بعضنا إلى بعض لانه يجهل الغاية من كلامه . وكلنا يعرف ظروفا مرت به حين كان فى حوار مع آخرين فكان يضطر الى أن يسأل : ماذا تقصد بهذه الكلمة ؟

• وهذا السؤال يدل على أن الكلمات تلتبس بل تلتغز معانيها بين شخص وآخر، وانها لهذا السبب لا تؤدى الغاية الاولى منها وهي الفهم والتفاهم . واللغة الحسنة هى التى يقل فيها الالتباس أو ينعدم لأن لكل كلمة معنى معينا لا يتجاوزه ولا يتسع لهوامش تحمل الشك أو الغموض أو الزيادة أو النقص كما هى الحال فى كلمات كثيرة مائعة تسيل على الجوانب ولا تثبت فى نقطة بؤرية

واللغة بما ورثت من عادات ذهنية قديمة كانت شائعة قبل آلاف السنين ، قدحملت الينا من المعانى ما لم نعد فى حاجة اليه بل نحن نستضر به . انظر مثلا الى السباب الدينى فى كلمتى كافر ونجس . فهاتان

كلمتان قد ورثناهما من عصر كانت العقيدة فيه أساس السلوك . ولم يكن النـاس يستوون فى الحقوق لانهم كانوا يختلفون فى العقيدة . ونحن نعيش الآن فى عصر تقول فيه بالمساواة بين جميع الناس بصرف النظر عن عقائدهم،ونطالبهم بأن يجعلوا المنطق مرشداً لحياتهم . ولـكن هاتين الـكلمتين تحدثان انفعالا يسىء الى السلوك العام فى اية أمة . ونحن حين نسمى انساناً « كافرا » نحرك عاطفة خسيسة للـكراهة كما نفعل حين نسمى سَمكة « ثعباناً » ونحمل الناس على كرهها

فهنا ضرر اللغة واضح . فاننا اذا دخلنا معملا كيماويا وجمعنا فيه نحو عشرين شخصاً من سلالات وشعوب مختلفة وحاولنا ان نميز بتجارب علمية دقيقة بين الكافر والمؤمن ، والنجس والطاهر ،لما استطعنا . بل انا لنجد بالعـلم انهم – كما يقول اسقف برمنجهام في ظرف مشابه – سواء

وقل مثل هذا فى كثير من الـكلمات التى تحمل شحنات عاطفية سيئة . فانها كثيرة فى كل لغـة . ونحن حين نحاول التفكير بالمنطق والتعقل فى أى موضوع نجد هـذه الـكلمات تعترضنا وتسد علينا السبيل دون التفكير الناجع

ومن اضرار اللغة ـ وخاصة فى لغتنا العربية – هذه المترادفات التى تبعثر المعانى وتبعدنا عن الإحكام فى التعبير . ويجب ان يكون من قواعد التعليم للبلاغة الجديدة ، لهذا السبب ، محاسبة التلميذ فى

انشائه على الكلمة الزائدة ، كما نحاسبه على الخطأ الذى يقع فيه حين يرفع مفعولا أو ينصب فاعلا

ولذلك يجب أن يكون المنطق أساس البلاغة الجديدة . وأن تكون مخاطبة العقل غاية المنشىء بدلا من مخاطبة العواطف . والبلاغة بفنونها المختلفة كما هي الآن فى لغتنا العربية تخاطب العواطف دون العقل . وهذا ضرر عظيم . فاننا حين ننصح لأحد الشبان بان يسلك السلوك الحسن فى الدنيا ويتخذ اسلوباً ناجعاً فى الحياة نشير عليه بأن يجعل العقل والمنطق دون العاطفة والانفعال هدفه ووسيلته فى كل ما يعمل . ولكن البلاغة العربية فى حالها الحاضرة هى بلاغة الانفعال والعاطفة فقط

واذا جعلنا المنطق أساس البلاغة فاننا عندئذ نجعل قواعدالمنطق ونظريات اقليدس مما يدرس للتفكير الحسن . وهو الغاية الاولى للبلاغة . ونبين قيمة الارقام فى التفكير الحسن . ثم تأتى بعد ذلك الفنون وهى عاطفية انفعالية للترفيه الذهنى . ولكن يجب أن نذكر ان التفكير الدقيق بالمنطق اخطر واثمن من الترفيه الذهنى بالفنون

واذا جعلنا المنطق أساس البلاغة فاننا سنبحث الكلمات من حيث معانيها . ونبين كيف أن الناس كثيراً ما يخلطون بين الشىء واسمه، وان هذا الخلط يشقيهم لانه يبعدهم عن التفكير الناجع ويؤخر نجاحهم ويعطل المجتمع عن الرقى

كنت في الريف فوجدت الفلاحين يذكرون كلمة « وريتة » ويقصدون منها الى ثلاثة أشياء مكروهة.وهى البومة لانهم يتشاءمون منها ، وابن عرس لأنه يفترس الفراخ ، والحمى لأنها تمرضهم . فهنا ثلاث كلمات : البومة وابن عرس والحمى . قد اختلطت على الفلاحين اسماؤها فصارت فى اذهانهم مسميات . كأن الحمى ليست من جراثيم حية تدخل الجسم وتأكل خلاياه بل هى « ح م ى » . وكذلك لم يعد ابن عرس حيوانا يحتاج الى أن ننصب له الشراك لكى نوقعه بل هو كلمة تحدث ضررا اذا لفظناها . وكذلك حملت البومة شحنة عاطفية تتصل بالسحر القديم ، فاذا ذكرنا الكلمة فقد هيأنا الجو للخراب . ولذلك يجب فى عرف الفلاحين أن نقاطع هذه الكلمات الثلاث ونقول بدلا منها « وريتة »

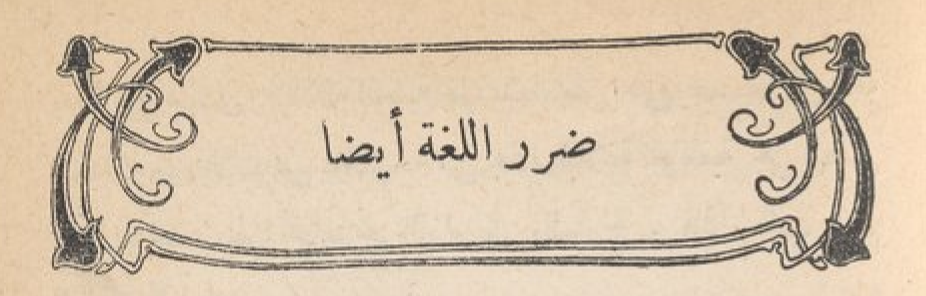
وهذا المثل على سذاجته يجب أن ينبهنا الى علاقتنا باللغة . فاننا كثيرا ما نخلط بين المسمى والاسم . واذا كنا لا نتشاءم بالبومة ولا نقول « غراب البين » فاننا نضفى على بعض الكلمات مثل « الاشتراكية » معانى مكروهة حتى ان بعض الحكومات تمنع ذكرها فى الصحف والكتب . ولكنها مع هذا المنع لم تخترع كلمة مثل « وريتة » كما اخترع الفلاحون حين أرادوا التعبير عن الحمى وابن عرس والبومة

وما يقال عن الكلمات المكروهة يقال أيضاً عن الكلمات

المحبوبة! . فاننا كثيراً ما نخدع بكلمات لها بريق أو رنين أو ضجيج . وكثيراً ماننسى ان الكلمة ليست هى الشىء وانما هى رمز للشىء .

على ان البلاغة القديمة - بلاغة الانفعال والعاطفة - يمكن أن نستخدمها للتوجيه الاجتماعى فى الامة . ولكن مع الحذر من أن يعود هذا التوجيه دعاية سيئة لأحد المذاهب الضارة ؟





اللغة الحسنة هي التى ، حين نعبر بها ، نحس السيادة المنطقية على كلماتها . فلا نشعر انه كان يجب أن نزيد هنا أو ننقص هناك . أو ان معنى الكلمة التى استعملناها قد يحمل القارى على غير ما قصدنا . وبكلمة أخرى تقول ، ان اللغة الحسنة هى تلك التى تتيح لنا التفكير المنطق كما لو كانت كلماتها أرقاماً تؤدى لنا الحساب الذى لا يحمل حاصل الجمع أو الطرح فيه معنى الشك. أو على الاقل يجب أن تقارب هذه الحال من الدقة على قدر الامكان

والواقع ان العلوم لا تنضج الا حين تقاس بالارقام وتعبر الاعداد عن حقائقها . ولا يزال كثير من علمي السيكلوجية والاجتماع بعيداً عن امكان التعبير عنه بالارقام . ولذلك تنقص قيمتهما بقدر هذا العجز عن استخدام الارقام فى شرحهما وفهمهما

ونحن فى مصر نسىء الى اللغة العربية ، والى شبابنا أيضاً ، حين تتخذ معهم طرقاً عتيقة فى معالجتها يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ — اننا نعلمهم مبادئ البلاغة العاطفية بالمجاز والاستعارة والتشبيه الخ لكى يصلوا منها الى التعبير الفنى أو الى الرفاهية الذهنية

بدلا من مبادىء البلاغة العقلية بقواعد المنطق حتى يصلوا الى دقة التعبير وتوقى الالتباس .والنتيجة من هذه البلاغة العاطفية هى الضرر لأنها تحدث لهم اتجاهاً نحو التزاويق والبهارج . فاذا طلب اليهم التفكير عجزوا

٢ – هذه البلاغة العاطفية قد حملت المعلمين على الاكبار من شأن الاقتباس ، حتى اننا كثيراً ما نرى فى كتب الانشاء التى يتداولها التلاميذ عناية المؤلفين بما يسمونه « الجمل المختارة » وهى عبارات تحتوى كلمات لها بريق أو رنين أو ضجيج . والتلميذ الذى يكلف استظهارها انما يفعل ذلك على حساب تفكيره ، فكأننا نقول له : « لاتنظر الى هذه الدنيا بروح الباحث المتفهم المفكر وانما استظهر العبارات المزخرفة وتكلف التزاويق لأنها أحسن ما يمكنك أن تعبر به فى الانشاء »

ونحن فى هذا التوجيه نحمله على العناية بالقشور وترك اللباب أى التفكير السديد

٣ – وضرر ثالث هو أيضاً نتيجة ما ذكرنا ، نعنى به العناية بالاسلوب ومحاولة التلميذ أو الطالب أن يتعلم أساليب المتقدمين ويحاكى أحسنها وكأنها غاية الانشاء

ونحن فى كل هذا نكاد نجحد الذهن . وعندما يشب هؤلاء الشبان يتجهون ، اذا ألفوا كتاباً أو كتبوا فى صحيفة ، وجهة الاقتباس

والتزويق دون التفكير والبحث. وهذا نراه شائعا فى كتبنا ومجلاتنا. بل أحيانا نجد المصرى المتعلم الذى درس فى أوربا واصطنع المنطق العلمى فى تفكيره عاجزاً عن التأليف فى اللغة العربية لانه يجهل الاقتباس والتزويق ولذلك يحجم عن التأليف فنحرم من ثقافته مع حاجتنا العظيمة اليها

فكيف نعالج هذه الحال ؟

١ - نعالجها أولا وقبل كل شىء بأن نجعل قواعد المنطق تقوم مقام قواعد البلاغة القديمة . أى دقة التعبير بدلا من تزويق التعبير. ومخاطبة العقل بدلا من مخاطبة العواطف

٢ - ونعالجها ثانياً بأن نقاطع الاقتباس فى الانشاء فى المدارس الابتدائية والثانوية . ونجعل التفكير يقوم مقام الاقتباس . فيجب الا تكون هناك « جملة مختارة » تحفظ عن ظهر قلب . بل يجب أن يعوّد الصبى أو الشاب كيف يفكر و يبحث و يطلع

٣ - يجب أن نعرف ان الاسلوب هو الناحية الاخلاقية للكاتب . فاذا كان الكاتب فنانا يعيش الحياة الفنية و ينظر الى الدنيا خلال العدسة الفنية ، فاسلوبه فنى . واذا كان عالما فأسلوبه علمى. واذا كان اجتماعيا الخ

واسلوب الكتابة هو بعض أسلوب الحياة . فالرجل المستقيم الصريح فى معاملاته يكتب فى عبارة صريحة وكلمات لا تقبل

الالتواء . فاذا طالبنا الصبي أو الشاب بأن يحسن الاسلوب فى كتابته فانما نطالبه فى الحقيقة بأن يتخـذ أسلوباً حسناً فى معيشته وان يرقى شخصيته . واذا استقرت هـذه القواعد فى مدارسنا وتعلمها صبياننا وشبابنا فاننا سنجد عندئذ المؤلفين المفكرين والصحافة النيرة المرشدة: صحافة الشخصيات الـكبيرة والتفكير العلمي .





الكلمة الموضوعية والكامة الذاتية

طبيعة الكلمات هي الجمود ، وطبيعة الاشياء التى تعبر عنها هي التغير . فكل شىء فى الدنيا – بل فى هذا الكون – يتغير . والحياة فى الحيوان والنبات هي أعظم المظاهر لهذا التغير . وهذا التغير على أقصاه فى الانسان ، لأنه يعيش فى مجتمع تتغير به أخلاقه وعاداته وآراؤه

ونحن فى تفكيرنا نتخذ أسلوبين : الاسلوب الموضوعى حين نتجرد من احساسنا الشخصى أولا نجد له مجالا . كما لو قلنا : كرسى أو أسد أو شمس أو شارع . فكلنا على وجه التقريب يذكر هذه الاسماء دون أى انفعال. وكلنا سواء تقريباً فى ادراك صورها .ولذلك اذا كنا فى حوار وذكر أحدنا الشمس أو الكرسى لم يحتج الآخر الى أن يسأله : ماذا تعنى ؟ لان المعنى واضح

وهذه الكلمات موضوعية أى انها غير متأثرة بذواتنا . والمفكر العلمى يحاول على الدوام الوصول الى هذا الاسلوب الموضوعى فى

التفكير ، أى انه حين يبحث مشكلة يتجرد من احساساته وميوله وما يحب وما يكره

ولكن هناك الاسلوب الذاتى ، أسلوب الاديب والفنّان . فرجل الادب يتحدث عن المثليات أو الجمال أو الذوق أو العظمة . وهذه الكلمات جميعها ذاتية أى تعبر عن احساساته وانفعالاته . ولذلك نختلف فيها كثيراً . فقد يقول احدنا ان القناعة من فضائل الفلاح ، فأردُّ انا عليه ولى انفعالات نفسية : لا . بل هى من رذائله . وقد يستمع أحدنا الى امرأة تغنى فيقول ، أن الاغنية حسنة . فيرد آخر بأنها ليست أغنية وانما هى أغنوجة

ومن هنا نفهم ان الغناء والقناعة كلمتان ذاتيتان نختلف فيهما كثيرا. اما الكرسى والشارع فكلمتان موضوعيتان لا علاقة لهما بانفعالاتنا واحساساتنا ولذلك لانختلف فيهما

فحين اسمع احدهم يقول « امرأة جميلة » فانى افهم كلمة امرأة ولا اختلف معه . لأن الكلمة موضوعية . ولكنه حين وصفها بالجمال قد تعرض للمناقشة لأن الكلمة ذاتية . اذ قد تكون فكرتى عن الجمال غير فكرته

والكاتب الذكى هو الذي يحاول أن يكون علميا موضوعيا وليس عاميًا ذاتيًا . ولكن يجب أن نذكر أن اللغة ستحتوى على

الدوام كلمات ذاتية تعبر عن الاداب والفنون. وهى هنا ليست عامية ولكنها تعبر عن ذاتية ممتازة

انظر مثلا الى قول أحدنا : هذا الصبى ذكى

فان وصف الذكاء هنا قد يكون ذاتياً ، لان المتكلم ربما وصفه بذلك لأنه استخف ظله ، أو لأن هذا الصبى قد خدمه ، أو لأن المتكلم نفسه ليس ذكيا . فكلمة « ذكى » هنا ذاتية . ولكن السيكلوجيين استطاعوا أن يجعلوا هذا المعنى موضوعيا . فهم يقولون : « هذا الصبى يبلغ معدل ذكائه ١٠٧ » وذلك بعد قياس مضبوط

وكلمات الشرف، والثقافة، والغباوة ، والفاقة ، والثراء ، والعدل ، والشجاعة ، والجمال ، والقناعة ، والتكبر ، والغضب ، والتسامح ، كلها كلمات ذاتية تعبر عن انفعالاتنا الشخصية ولا تعبر عن حقائق موضوعية مثل الكرسى أو الشارع

والتفكير السديد ينقلنا ، أو يحاول أن ينقلنا ، من النظر الذاتى للاشياء الى النظر الموضوعى . ومن الوصف المائع العام الى الوصف بالارقام ، كما رأينا فى معدل الذكاء فى السيكلوجية . وكثير من الفهم السىء للفلسفة القديمة – وما يلحق بها من أدب ودين – يرجع الى انها عالجت شئون الدنيا بكلمات ذاتية قد اختلفت معانيها بعد مرور الف أو الفى سنة

وقد ارتقت الامم بكلمات ذاتية مثل مروءة ، وشرف ، وشهامة، وحيـاء ، وأنفة ، كما انحطت بكلمات ذاتية أخرى مثل شماتة ، وكفر ، ونجاسة . ولـكن اذا صرفنا النظر عن الارتقاء والانحطاط،فاننا نجد ان الـكلمات الذاتية كثيراً ما تبعث على الالتباس والفهم السيء . ومن هنا الاختلاف الدائم فى الدين والفلسفة والاداب والفنون . والاتفاق التام فى العلم ، لأن كلمات العلم موضوعية ولذلك فأن أسلوب التفكير فيه موضوعى .





إحدى الكلمات

لغتنا تستوى وسائر اللغات العصرية فى نقص التعبير عن المعانى الذاتية . وهذا النقص سوف يبقى – كما قلنا – الى أن نهتدى ، نحن وسائر الأمم ، الى اللغة العلمية ، أى اللغة التى تنقل المعنى من « الذاتية » الى « الموضوعية »

فبدلا من أن تقول : هذا الصبي ذكى ، تقول : يبلغ ذكاء هذا الصبى ١١٥

وبدلا من أن تقول ، كان يوم أمس حاراً مرهقاً ، تقول : بلغت الدرجة المئوية للحرارة أمس ٣٩

وقد سبق أن قلنا أيضاً أن العلم لا تنضبط قواعده الا اذا عبر عنه بالارقام . وقد يتساءل القارىء فى أسف واكتئاب : أى دنيا هذه التى يعيش فيها الناس بلغة الأرقام ؟

ولكن يجب أن نذكر أن العالم لا يزال فى بداية التعبير اللغوى ، وان الفرق بيننا وبين المتوحشين فى اللغة انما هو فرق الدرجة والتفاوت وليس فرق النوع والاختلاف . فالمتوحش يعبر عن حاجاته بنحو ٥٠٠ كلمة ونحن نعبر بنحو ٥٠٠٠ أو ٥٠٠٠٠ . وهو يقول عما زاد على العشرة انه « كثير » . أى انه يعبر بكلمة واحدة عن اعداد المئات والالوف والملايين . وربما لا يزال متعلقاً بطريقة « الاحصاء »

بالحصا كما كنا نحن قبل ألوف السنين . ولكن مع هذا لاتزال فى لغتنا العربية ولغات الامم العصرية كلمات تعبر عن احساسات مختلفة تتغير معانيها ولا تتغير الكلمة التى تدل عليها . ونحن فى هذا مثل المتوحش الذى يسمى مازاد على العشرة « كثير »

أنظر مثلا الى كلمة « أحب »

فالرجل يحب المرأة هذا الحب البيولوجي الذى يقصد منه الى التناسل . والزوج يحب زوجته . واحساس الزوجين للحب يرتفع على المستوى البيولوجي . فهنا اختلاف

ولكن أحدنا يقول إنه يحب الملوخيا . فهل كلمة الحب التى تستعمل للتعبير عن العلاقة بين الرجل المرأة هى نفسها التى يصح أن تستعمل للتعبير عن العلاقة بين الرجل والملوخيا ؟ وهل الاحساس واحد فى الحالين ؟

والانجليز يفصلون بين هذين المعنيين باستعمالهم Love للاول و Like للثانى

ألسنا نرى هنا ان كلمة « أحب » كلمة عامة تدل على احساسات مختلفة ولكننا نطلقها عليها جميعها لأننا كالمتوحش حين يسمى مازاد على العشرة « كثير » ؟

ثم هناك حب الأم لأطفالها . ثم حب الأطفال للأم . وكلاهما أيضاً مختلف

ثم حب الانسان لله . ثم وصية الدين لنا بانه يجب أن نحب بعضنا بعضاً . ثم حبنا للمال . ثم هناك الحب بين الحيوان . بل ان السمكة نفسها لتحب أطفالها وتذود عنها

فهل يصح أن تؤدى كلمة الحب كل هذه المعانى المختلفة ؟ ألا يدل قصور هذه الكلمة على قصوراللغات العصرية أرقاها وأدناها، واننا مازلنا فى المرحلة الأولى من التعبير ؟

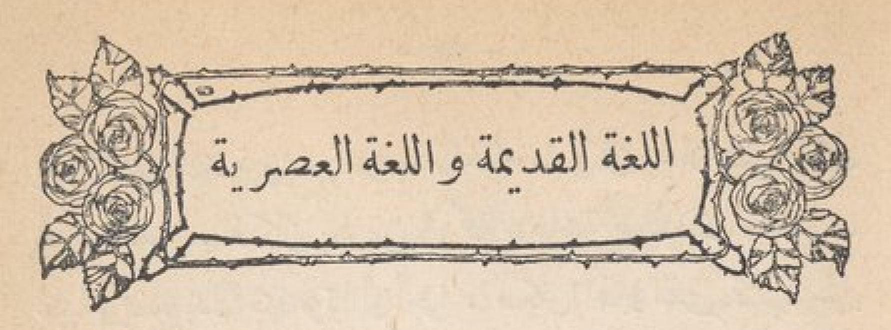
أجل . أن اللغات جميعها لاتزال فى طور التجربة ، وستبقى كذلك مادام عقل الانسان يرتقى ويطلب الوضوح مكان الغموض، والمعنى الموضوعى مكان المعنى الذاتي . ويكاد ارتقاء السيكلوجية يتوقف على هذا وحده ، أى على تفسير الاحساس الذاتى تفسيراً موضوعياً. ومن هنا الصعوبة الكبرى فى ترجمة الشعر والدين والادب. لأن هذه الثلاثة تتصل بالمعانى الذاتية التى يشق على أبناء أمة أجنبية أن يفهموها لأن البيئة الاجتماعية التى يعيشون فيها قد اختلفت وأحدثت عواطف مغايرة لما كان فى البيئة الاصلية التى وضع فيها الشعر والدين والادب

وكلمة « الحب » واحدة من مئات الكلمات الذاتية التى تتسع كل منها لجملة صور مثل كلمات الفهم ، والجمال ، والألم ، والسرور ، والحزن ، والنشاط ، والكراهة ، والحنان ، والحر ، والبرد ، والايمان ، والتعقل ، والوهم ، والغيرة .

وهناك كلمات اخر نتوهم منها انها موضوعية ولكنها تحدث لنا احساسات وانفعالات ذاتية ، فتلتبس معانيها وتختلف فى مغازيها . مثل الديمقراطية والحرية والاتوقراطية والاشتراكية والتعصب . فانها جميعها تدل على حالات نراها فى شعب أو جماعة . وكان يجب أن تكون موضوعية . ولكنا تقحم احساساتنا الشخصية فيها فتعود وكأنها ذاتية

فلو قيل لنا ان الهندوكيين يكرهون البوذيين فى الهند و يؤذونهم استطعنا أن نفهم معنى التعصب هنا ونحكم حكما موضوعيا نزيها وذلك لأننا لسنا هندوكيين أو بوذيين . ولكن عندما يقرأ المسلم تاريخ الحروب الصليبية يجد نفسه مختلفا كل الاختلاف مع القاريء المسيحى . لأن كلا منهما ينظر نظراً ذاتياً لمعنى التعصب





اللغة القديمة واللغة العصرية

كل من يعرف اللغة الانجليزية يدرك الفرق العظيم بين اللغة التى كان يستعملها شكسبير حوالى سنة ١٦٠٠ وبين اللغة الانجليزية الآن . وهذا الفرق هو فرق النمو والتطور . فان اللغة الانجليزية لم تجمد وتتحجر ولم يلتمس الكتّاب « جملا مختارة » من شكسبير لكى يزخرفوا بها انشاءهم بل أخذت اللغة تتميز بالتنفية والتنقية حتى اختلفت اختلافا كبيرا من لغة شكسبير مع ان المدة بينهما لاتزيد على ٣٤٠ سنة

ومما يذكر فى تطور اللغة الانجليزية ان الملك جيمس حين زار كنيسة سان بول الكاتدرائية عقب انتهاء المهندس من بنائها عبر عن إعجابه بها بهذه الكلمات Amusing, awful, artificial فسر المهندس غاية السرور . ولكن هذه الكلمات قد انتقلت فى عصرنا من معنى الاستحسان الى معنى الاستقباح والاستهجان والاستهزاء

وهذا هو التطور . وهذا هو الرقى . فان اللغة الحية التى يستخدمها مجتمع حى يجب أن تتطور . ومحاولة تجميد اللغة والتزام عباراتها القديمة وكراهة ايجاد الكلمات الجديدة انما تعنى تجميد الاذهان وعرقلتها فى التفكير الناجع

حين كنت أحرر فى احدى الجرائد كان بها شيخ مصحح

يشرف على اللغة ويمنع تسرب الاخطاء . وكان رجلا طيب القلب جامد الذهن . فكان يعارض فى كلمة « ماهية » الموظف ويضرب عليها ويضع بدلا منها مرتبا أو أجرا . فكان المخبر الذى كتب الخبر يرى عقب طبع الجريدة ان وكيل الوزارة أو رئيس القلم قد زيد « أجره » فيهرول الى الشيخ ويصرخ ويهيج . ولكن الشيخ يصر على ان كلمة « ماهية » لم ترد قط فى المعاجم بمعنى « أجر » . ولا عبرة باصطلاح الحكومة على المعنى الجديد لها

وهذا هو النظر الجامد للغة . ولو ان كتاب العرب القدماء كانوا قد التزموا هذا الجمود لقصّرت اللغة فى الاداء . ولكن فى اللغة العربية أكثر من ثلاثة آلاف كلمة رومانية واغريقية وفارسية . وهذا زيادة على المعانى الجديدة التى ألحقت بالكلمات القديمة فتخصصت الكلمة لمعنى معين بعد ان كانت عامة

وهذا هو ما نفعل نحن الآن . فقد خصصنا

الدستور	للنظام الاساسى للدولة
والصحيفة	للجريدة أو المجلة
والغارة	لهجوم الطائرات
والعلم	للمعارف التى يمكن امتحانها بالتجربة أو ما يساويها فى التحقيق
والاذاعة	لما يصدر عن المحطات الاشعاعية

والجامعة لمجموعة كليات مستقلة فى ثقافتها الى حد ما ، الخ .
وبهذا التخصص ، وبايجاد كلمات جديدة ، مرنت لغتنا بعض المرونة وخدمت مجتمعنا . ولكن مشكلاتنا اللغوية لاتزال كثيرة وما زلنا نلتزم عبارات مقتبسة يعافها الذهن الذكى . ومرجع هذه العبارات تلك البلاغة العاطفية الانفعالية التى تعلمناها وغرست فى نفوسنا قيمة مزيفة للاستعارة والمجاز .

فما زالت صحفنا مثلا تقول :

عرض على بساط البحث	بدلا من	عرض البحث
وخاض غمار القتال	» »	قاتل
حمى وطيس القتال	» »	حمى القتال
دارت رحى المعركة	» »	دارت المعركة
وضعت الحرب أوزارها	» »	انتهت الحرب
لتعزيز أواصر الثقة	» »	لتعزيز الثقة
صب جام غضبه	» »	صب غضبه
أطلق سراحه	» »	اطلقه
تتجاذب أطراف الحديث	» »	تتحدث

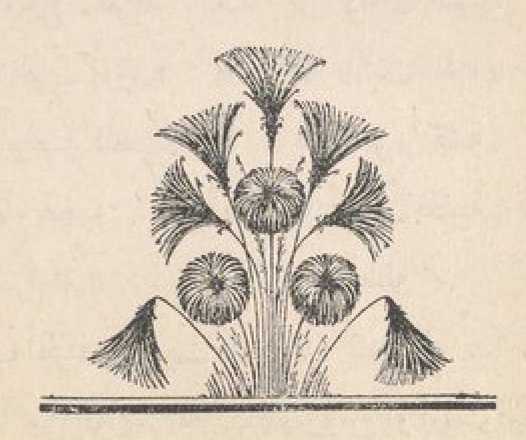
وقلّ منا من يقول : الحرب الضروس أو الموت الزؤام . ولكن العبارات السابقة التى ذكرت لا نزال نرى كل يوم فى جرائدنا على الرغم مما فيها من استعارات ومجازات يمكن أن نستغنى عنها ، بل على

الرغم من كلمات نحتاج الى مجهود كبير لتفسيرها لصبياننا مثل : وطيس. اوزار . اواصر. جام . رحى

وفى استغنائنا عن هذه العبارات اقتصاد ذهنى ومادى . ويجب ألا يفهم القارىء أننا نعارض الاستعارة كائنة ما كانت ولكننا نعارضها:-

١ - حين يمكن الاستغناء عنها فيكون الاقتصاد الذهنى والمادى كما يتضح من الامثلة التى ذكرنا اذ الغيناها جميعا ولم ينقص المعنى

٢ - وأيضاً حين تعكس لنا مجتمعا يخالف مجتمعنا . فان كلمات الوطيس والجام والرحي لا تتصل بمجتمعنا العصرى كما كانت تتصل بمجتمع العباسيين . واولى من هذه الكلمات كلماتنا العصرية مثل قطار أو موطر او تلفون الخ





المجتمع العربى القديم

خدمت اللغة العربية مجتمعين عربيين أولهما المجتمع البدائى حين كان العرب قبائل يرحلون و ينتجعون . وقد ورثنا نحن من هذا الطور آلاف الكلمات عن الصحاري والابل والخيل والغزو والخيام . ولكننا لم نرث شيئاً من هذا الطور يتعلق بالزراعة أو الصناعة أو الحكومة . ثم خدمت اللغة مجتمعاً عربياً آخر هو المجتمع الحضرى . وإذا قلنا « المجتمع الحضرى » فاننا نعنى مجتمع بغداد، لأنها كانت بؤرة الثقافة العربيـة نحو أربعة قرون . وكانت مدن مصر وسوريا والمغرب والأندلس والحجاز تستوحيها وتستمدّ منها

والمجتمع البدائى الأول لا نكاد ننتفع بتراثه اللغوي . أما المجتمع الحضرى الثانى فهو رأس المال الذى نستغله ونرجع إليه ونستمد منه . ولغتنا ما زالت هي لغته بكلماتها ومعانيها مع تغيير قليل فى بعض المعانى وزيادات فى بعض الكلمات . وقد خدمت اللغة هذا المجتمع الخدمة الصادقة. ولهذا السبب نفسه، أي لصدق الخدمة التى قامت بها اللغة للمجتمع العربى أيام الأمويين والعباسيين والأتراك ،قد حملت كلماتها إلينا جواً غريباً عنا . ونحن نشعر بهذه الغرابة حين نحاول وصف

مجتمعنا ونبحث عن الكلمة « الجوية » التى تؤدى معنى نحتاج إليه فى السوق والبورصة والمكتب والمصنع والمداولات السياسية والحقوق المدنية والعلوم المادية الخ . وحملت الينا عادات ذهنية مازلنا نستضر بها لأنها لم تعد تتفق وحياتنا العصرية. واليك شرحا موجزا :

١ — كان المجتمع العربى ارستقراطيًا يعيش بكد العامل كما كان الشأن فى اوربا مدة القرون الوسطي . أو بكد العبيد . وكان لذلك يحتقر العمل اليدوى . وكانت الطبقة المتوسطة معدومة . ولذلك لانستغرب اقتراح أحد الادباء مدة العباسيين ألا يباع الورد للسوقة لأن هذا الزهر أجل من أن تتناوله يد العامل الخسيس . ولانستغرب أيضا أن يكون أوفى الكتب الادبية التى نعتمد عليها فى تفهم المجتمع العربى القديم هو كتاب « الأغانى » وفصوله هي مجالس الاثرياء والخلفاء مع المغنين والمغنيات . واسم الكتاب وموضوعه يدلان على ارستقراطية الادب الذى نشأ لخدمة المجتمع العربى الارستقراطى ، ثم ارستقراطية اللغة التى تعبر عنه

ومجتمعنا الآن ديمقراطي أو نحن نحاول أن نجعله كذلك وننشد الديمقراطية فى الحكومة والعائلة والمدرسة . ولكن التراث اللغوي الارستقراطى الذى ورثنا من العباسيين لا يساعدنا على ذلك

٢ — ثم كان هذا المجتمع حربيا. فان الصراع بين الدولة الرومانية والدولة العربية أحال اللغة الى خدمة الحرب.فزكت الخطابة والشعر .

خطابة الحرب وشعر الحرب . وكثرت كلمات العاطفة والانفعال — الكلمات الذاتية — لان المجتمع العربى كان معسكراً يحتاج رجاله الى مايملأ قلوبهم حماسة . وقد ورثنا هذا التراث مع ان مجتمعنا سلمى يحتاج الى كلمات السلم وليس الى كلمات الحرب

٣ — كان المجتمع العربى القديم يعيش فى ظل حكومة استبدادية لم تعرف قط معنى البرلمان أو المجلس البلدى . ولذلك نحن نحمل عبء الكلمات العربية التى خدمت هذا المجتمع الاستبدادى ونحاول تحميلها المعانى الديمقراطية الجديدة أو نصطنع الكلمات الجديدة مثل « برلمان » لكى نؤدى معنى لم تعرفه الثقافة العربية القديمة

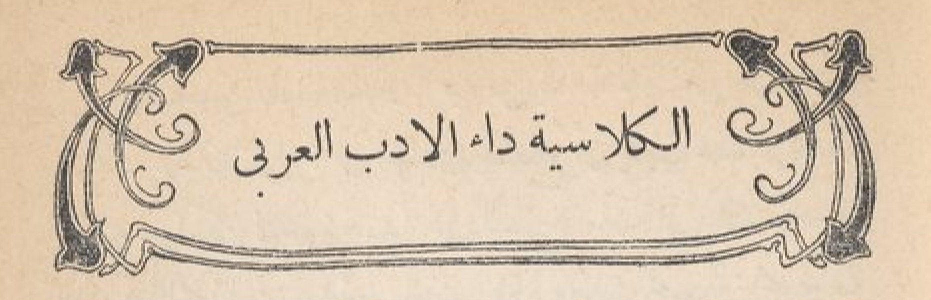
٤ — لم يكن المجتمع العربى القديم يعيش على المعارف والمنطق الا فى أقله ، وكان يعيش على العقائد والغيبيات فى اكثره . ولذلك يشق علينا فى مجتمعنا أن نؤدى المعانى للمعارف المادية لأن لغتنا حافلة بكلمات الغيبيات والعقائد دون كلمات العلوم الجديدة

والنتيجة لهذه الحالة اننا نجد صعوبات لغوية خطيرة كلما حاولنا معالجة المعارف العصرية . لان لغتنا قضت شبابها وهى تلابس مجتمعاً ارستقراطياً حربياً عقيدياً فكثرت مصادرها اللونية التى تعبر عن حاجات هذا المجتمع . فكانت لغة الخطابة والشعر والغيبيات بل لغة اللهو والاغانى والقتال . ولكننا نحن نختلف من العباسيين

والامويين من حيث ان حضارتنا قد صارت تنشد الديمقراطية وتنهض على الصناعة وتعتمد على المعارف والماديات دون العقائد والغيبيات

ومن هنا صارت البلاغة القديمة بلاغة الارادة تعبر عن شهوات ورغبات . وليست بلاغة المنطق التى تعبر عن العقل والذكاء . كما حفلت اللغة برواسب من الكلمات التى لا ننتفع بل نستضرّ بها كلما حاولنا تحريك المجتمع . لان التحريك هنا تعكير





الكلاسية داء الادب العربى

كل لغة تحتاج الى شيء من الكلاسية نعنى النزعة التليدية حين يتصل الاديب بأسلافه من الأدباء يتذوق مؤلفاتهم وينغمس فى أمانيهم ومثلياتهم ويقتنى بذلك التراث الذهنى السابق . وفى كل عصر نجد الكاتب الذى ينزع الى تليده والكاتب الذى ينزع الى طريفه. وهما ليسا خصمين ولكنهما متعارضان . وقد ينتفع أحدهما بالآخر اذا لم يكن الفرق بين الطارف والتليد ،عظيما، كما يكون أحيانا أيام الثورات والانفجارات الاجتماعية . ففى هذه الايام تتقهقر النزعة التقليدية وتبرز النزعة التجديدية. ويحدث العكس ايام الاستقرار حين تقنع الامة بالكلاسية وتطمئن الى التقاليد بل تتعلق بها وتخشى التجديد والتغيير. وبدهى لهذا السبب ان الكاتب الذى ينغمس فى الكلاسية انما يفعل ذلك لانه يعيش فى بيئة أدبية راضية عن التقاليد كارهة للتجديد. والكلاسية ليست فى الواقع شيئاً أكبر أو أصغر من التقاليد الفكرية والأدبية

لما كان فولتير فى انجلترا ذكر له أحد الناقدين الانجليز قول شكسبير فى رواية هامليت

« فما تحرك فأر »

واستحسن هـذا التعبير لما فيه من بساطة . ولـكن فولتير أجابه بقوله : « ماذا تقول ؟ ان الجندى يستطيع أن يجيب هذه الاجابة فى ثكنته . ولـكن لايجوز هـذا على المسرح امام اسمى الاشخاص فى الأمة أولئك الذين يتحدثون بلغة شريفة . ولذلك يجب أن يجدوا مثل هذه اللغة عندما يستمعون »

وكان فولتير هنا كلاسياً تليديا ينشد الفخامة والروعة فى الكلمات . وكان قد ترك فرنسا الملوكية الرجعيـة التى يتلألأ فيها عرش لويس الرابع عشر أو الخامس عشر تحيط به نجوم من النبلاء والامراء والسيدات المزينات باللآلىء التى جمعت أثمانها من أقوات الملايين من الشعب . وعاش فولتير فى هذا الوسط . ومع انه ثار عليه بعد ذلك ، فانه كان قد تلبس بمزاجه ونزع نزعته . فكان الـكاتب التليدى . كما كان جان جاك روسو الـكاتب الطريفى . واوربا لاتزال الى الآن فى مشكلاتها ومثلياتها تستنير بضوء روسو فهى ثائرة متغيرة لما تستقر

ولـكن انجلترا التى زارها فولتير ، والتى الف فيها شكسـبير ولم يأنف من ذكر الفأر فى درامة عالية مثـل هامليت ، انجلترا هذه لم تكن رجعية اذ لم يكن فيها عرش مستبد كالعرش الفرنسى . وكانت قد استـقرت فيها الحرية والبرلمانية بعد قطع رأس تشارلس الاول . ثم كانت الحركة التجارية قد اوجدت فيها طبقة متوسطة طريفية يحضر أفرادها دور التمثيل . وكل هذا جعل الوسط الأدبى غير تليدى

وداء اللغة العربية فى جميع الاقطار العربية هو داء الكلاسية الرجعية التليدية . وليس هذا الداء جديداً . فاننا نجد أثره مثلا حين نقرأ عن رفض احدى قصائد أبى نواس وهو المجدد العظيم فى مباراة أدبية على ما نذكر . وكذلك لما دخل جنكيز خان بغداد الغى كلمات التفخيم التقليدية وألح فى وجوب التبسيط اللغوى . وهنا يقول ابن عرب فى كتابه « فاكهة الخلفاء » :

« فكان فى المكاتبات ... لا يزيد على وضع اسمه ... من غير مجازات واستعارات ... وكذلك الأمراء والوزراء ... ولما فرغ من ترتيب هذه القواعد الملعونة وخرج بها على خلاف الشريعة الميمونة ... » الخ . الخ .

فنحن هنا ازاء رجل مغولى دخل الاقطار العربية وليس له فيها تقاليد اجتماعية أو دينية أو أدبية فعمد الى تبسيط اللغة فلا حضرة ولا جناب كما يقول مؤلف فاكهة الخلفاء الذى يحنق الى درجة انه يجد فى هذا التغيير فى اللغة مخالفة « للشريعة الميمونة »

أى انه لم يختلف هنا مما يقول الدكتور زكى مبارك حين ألف كتابه عن « اللغة والدين والتقاليد » حيث يرى الارتباط بين الثلاثة وحيث يكره - أشد ما يكره - حرية المرأة حتى انه ذكر انها تستحق الضرب بالحذاء على رأسها وان والده كان يفعل ذلك بزوجاته . وهو هنا ينساق فيما يتوهمه من تقاليد عربية

وحين أسست الحكومة المصرية مدرسة دار العلوم وقصرت الملتحقين بها على المسلمين دون المسيحيين أو اليهود انما نظرت أيضاً هذه النظرة أى انها رأت ارتباط اللغة بالدين والتقاليد .فاللغة عند زكى مبارك ، وابن عرب ، والحكومة المصرية ، ليست لغة الديمقراطية والاتومبيل والتلفزيون بل هى لغة القرآن وتقاليد العرب . ولا بد ان ابن عرب يفرح ويطرب ، لو أنه بعث فى عصرنا ، حين يجد اننا خالفنا جنكيز خان « الذى كان فى المكاتبات . . . لا يزيد على وضع اسمه . . . من غير مجازات واستعارات » ذلك لأننا نقول الآن صاحب المعالى وصاحب السعادة . . .

وخلاصة القول ان الداء الاصيل فى اللغة العربية هو الكلاسية التليدية . وهى لذلك لا تكتسب طريفاً لأنها قانعة بتليدها . وهذه حال يجب ألا نرضاها نحن . لأنها تحول دون أن نكون أمة عصرية

وصاحب المعالى وصاحب السعادة وضرب المرأة بالحذاء على رأسها لن ينجينا من مثل جنكيز خان بأسلوبه العصرى

ويستطيع القارئ الذكى أن يردّ هنا بانه عند ما يتغير الوسط الاقتصادي يتغير الوسط الاجتماعي .أي عند ما نصير أمة صناعية لابدّ أن تتغير اللغة وتقبل الطريف

وهذا صواب . ولكن قبل ذلك يجب أن نعرف لماذا نكره الغاء الاعراب وتبسيط التعبير (فأر شكسبير) واصطناع اللغة العامية واتخاذ الخط اللاتينى . . . وأيضاً حرية المرأة



الايحاء الاجتماعى للكلمة

فى سنة ١٨٧٠ كانت فرنسا يتسلط عليها الامبراطور نابليون وكان مفكروها يكرهون النظام الامبراطورى ويطلبون الغاء العرش واعادة الجمهورية . فكان مما كتبه الاديب الكبير فلوبير قوله ان الشعب الفرنسى يتعلق بالامبراطورية لانه مخدوع باسم نابليون . أى ان اسم نابليون الاول قد ترك فى التاريخ رنيناً ودوياً كانا لا يزالان يجدان الصدى في النفس الفرنسية . ولذلك فان كلمة « نابليون » كانت توحى الى الشعب حباً وتعلقاً فى غير مكانهما لأن نابليون الثالث لم يكن يستحقهما سنة ١٨٧٠

وفلوبير على حق . فان للكلمات ايحاء سياسياً أو اجتماعياً أو دينياً . فما هو أن ننطق بالكلمة أو تخطر هى ببالنا حتى تنطلق طائفة من العواطف تحرك ارادتنا وتعين سلوكنا وتفكيرنا . وقد سبق أن قلنا ان كلمات الدم ،والانتقام ،والثأر ، تحدث نحو ثلاثمائة جناية فى بعض مديريات الصعيد . كما ان كلمتى شرق وشرقيين تحدث بين بعضنا صدودا عن الحضارة العصرية كأننا فى حرب مع الاوربيين وان هذا الصدود يؤذينا فى تطورنا . ولا يزال عندنا من الكلمات

والعبارات ما يوحى الينا ايحاء سيئاً يتعارض مع الروح الديمقراطى الذى نرجو أن نعممه فى المجتمع والحكومة والعائلة . من ذلك مثلا قولنا « أبناء البيوتات » أو « حرم فلان » أو « أمّ فلان »

ولكل كلمة ايحاؤها الذى يقوى أو يضعف . وكثيراً ما ينعدم التفكير لانعدام الكلمة . فان المبشرين الذين عاشوا بين القبائل البدائية أو المتوحشة فى أفريقيا السوداء كانوا يجدون مشقة عظيمة بل أحياناً استحالة فى شرح الديانة المسيحية لأن لغة هذه القبائل لم تكن تحتوى كلمات تدل على الله أو الجنة أو جهنم أو النعمة أو المجد أو الصدق

وكثير من فضائلنا ورذائلنا معاً يرجع الى الكلمات . فلولم تكن هناك كلمتا الصدق والكذب لكان من الشاق علينا أن نفهم معنيهما. وكلمة « الشماتة » توحى الينا أسوأ العواطف

اعتبر مثلا أيها القارىء طبيباً وحشاشاً يتحدث كل منهما عن الاعضاء التناسلية . فالاول يذكر كلمات لا تحرك عاطفته أو تهكمه أو سخريته . ولكنها تحرك ذهنه . لأنها كلمات يقصد منها الى المعارف . ولكن الحشاش يذكر كلمات توحى العاطفة الجنسية أو التهكم أو السخرية . فالموضوع هنا واحد . ولكن اختلفت معانيه باختلاف الكلمات التى تستعمل فى وصفه . وهنا يجب أن نذكر ان كثيرا من توجسنا من الحب واختلاط الجنسين يرجع الي اننا نستعمل كلمات

الحشاشين سواء اكانت فصحى أم عامية فى وصف هـذه العلاقات الجنسية بدلا من كلمات العلماء أو المثقفين . ولذلك كلما فكر بعضنا فى الحب أو اختلاط الجنسين على الشواطئ أو العرى خطرت بذهنه كلمات توحى البذاء أو العهر فيصد ويصرخ فى الدعوة الى انفصال الجنسين

فأحدنا المتعلم المثقف العصرى حين يفكر فى الاستحمام والشواطئ واختلاط الجنسين تخطر بباله هذه الكلمات : الصحو : الاوزون . فيتامين . السباحة . هواء البحر المعقم . المؤانسة . الرياضة . النحافة . الرشاقة

وأحدنا الآخر غير المتعلم أو بالأحرى غير العصرى تخطر بباله هذه الكلمات : الارداف ، الاكفال ، البطن المتعكن ، وصدر مثل حق العاج رخص ، وكلمات أخرى تخطر ببال الحشاشين فتؤدى الى تفكير الحشاشين . ثم الى الصراخ بالعيب والعار على الشواطىء

والحب نفسه يتكيف بالكلمات التى تستعمل فى وصفه أو شرحه بين المحبين . فهو عهر بين شاب و بغى . وهو كذلك بين الحشاش وزوجته . ولكنه يرتفع الى الطهر والشرف بين المثقفين الذين يستعملون الكلمات السامية المهذبة

والايحاء الحسن من الكلمات كثير أيضاً . فانظر الى قولنا : « الروح الرياضى » وكيف تؤثر هذه العبارة كالسحر وتبعث عاطفة حسنة فى الشاب حين يجور أو يغضب . وانظر الى قولنا : يجب أن

تكون جنتلمانا . فان هذه الكلمة الانجليزية تجمع من المعانى مالم نوفق نحن ولا غيرنا مثل الفرنسيين أو الايطاليين الى مثله باحدى كلماتنا . ولذلك استعملت فى اللغات الثلاث

ولما خرجنا نحن من ظلام القرون الوسطى وجدنا من المعانى فى اللغات الاوربية مالم نجد مايقابله فى لغتنا فاخترعنا الكلمات التى تؤديها . فقلنا : عائلة . وتطور . ووطنية . وشخصية . ودستور . وثقافة. وعالمية . ومسئولية . واخاء

وهذه الكلمات احاطتنا بجو حسن من التفكير العصرى يجعلنا نتابع تطورات العالم ونفهم مشكلاته . ولم تكن هذه الكلمات التى ذكرنا معروفة فى لغتنا . أو كان بعضها معروفا ولكنه لا يحمل هذه المعانى العصرية التى نلصقها بها مثل ثقافة، واخاء ،ودستور ،التي نجدها فى المعاجم ،ولكنا لانجد لها معانيها العصرية

واذكر أيها القارئ الجو السيء الذى يبعث تفكيراً سيئاً في صبياننا عند مايركبون الترام أو يسيرون فى الشارع فيسمعون الباعة الجائلين يشتم بعضهم بعضاً بذكر الاعضاء التناسلية بكلماتها الفجة . فان الصبي ينشأ وقد تلبس بالمعانى الفجة التى لهذه الكلمات . وهو عند مايبلغ الشباب يجد ان علاقته بالمرأة مكيفة مصوغة الى مدى بعيد بهذه الكلمات . وهو يشقى بهذا

والصبى حين يقرأ المجلات الاسبوعية تعلق بذهنه كلمات من

النكات الجنسية تعين له السلوك الجنسى فى المستقبل أو تؤثر فيه . ذلك لان لكل كلمة ايحاءها الذى يندس فى العقل الباطن ويكوّن لنا عادات فى التفكير والاخلاق . ويجب لهذا السبب أن نحيط أبناءنا بالكلمات المثلى التى تبعث التفكير الحسن . كما يجب علينا نحن الكبار ألا نستسلم لايحاء الكلمة بل ننظر من خلالها الى المعانى المختفية التى لا تتفق والحقائق فنميز بين الكلمـة الذاتية وبين الكلمة الموضوعية . وليس هـذا بالمجهود اليسير . وقل منا من ينجح فيه . ومعظمنا ينجح فى الكشف عن قليل من الكلمات وتحرى محتوياتها من غموض أو وضوح ومن خير أو شر . ذلك لأننا نتسلم الكلمات منذ الطفولة فننشأ على تصـديق ما يقول به العرف عنها . ثم تقبل ماتبعثه فينا من عواطف . فاذا شببنا أخذنا غيرها من الكلمات وبقدر ما عنـدنا من ذكاء ناقد تكون قدرتنا على التخلص من بعض ايحائها

وذ كاؤنا الناقد محدود بالعمر والكلمات غيرمحدودة اذ هى تراث آلاف السنين .





الاقوال أفعال

من الأوصاف المألوفة أن تقول عن أحد الزعماء أو الساسة أنه « رجل أقوال وليس رجل أفعال » وأحياناً نسمع من ينبهنا الى أن الكلام غير العمل . وقد كان نابليون نفسه يصف الادباء بأنهم « تجار الكلمات » ولأبي تمام شطرة من بيت كثيراً ما تذكر هي « السيف أصدق أنباء من الكتب »

والواقع أن أبا تمام لم يقل كلمة هي أبعد عن الصحة والحقيقة من هذه الشطرة . لأن السيوف لا تتحرك الا للكلام الذى سبقها والكلام هو القوة الروحية المتسلطة والسيف هو القوة المادية الخاضعة . أليس من الواضح أن السيوف انما جردت فى حروب العرب والرومان لأن كلا منهما كان يفكر بكلمات تحمل قوات ذهنيــة وروحية ونفسية تختلف مما كانت تحمله الكلمات الاخر عند الفريق الآخر ؟

ثم انظر إلى نابليون . لقد ضاع كل ما فتحـه بالسيف فى أوربا وأفريقيا قبل أن يموت . اما الكلام الذى رتبه فى « قانون نابليون » فلا يزال حياً الى الآن . ولو أن نابليون عنى بالكلمات ولم يحتقرها لكان إلى جنب سيوفه ومدافعه دعاية لمذهبه الجديد فى الحكم من حيث اتحاد أوربا والغاء النظام الاقطاعى . ولكنه أهمل هذه الدعاية

ولذلك استطاع أصحاب الكلمات القديمة بزعامة مترنيخ أن يفـوزوا عليه وأن يطفئوا نور العصر الجديد - إلى حين

ونحن البشر نختلف من الحيوان من حيث أن أحسن أعمالنـا هو أقوالنا أي هو كلماتنا التى نعين بها المبادىء والمثليات . ولقد فتح الاسكندر الدنيا المعروفة فى زمنه . فما هــو أن مات حق تشتتت . ولـكن استاذه أرسطوطاليس رب الكلمات لا تزال كلماته حية بعـد ٢٢٠٠سنة من وفاته .

وقد خابت الحرب الـكوكبية الاولى لأن عدتها من الكلمات كانت أقل من عدتها من السيوف والمدافع . فلما انتهى عمل السيوف والمدافع وهزمت ألمانيا وجاء السلم لم تجـد كلمات ولسن الجو الملائم لنموها فذبلت وماتت أمام الاعشاب التى زرعها كليمنسو ولويد چورج. ولو أن كلمات ولسون نجحت ووصلت إلى قلوب المتمدنين ، ولو أنها كانت قد عبئت بالقوة التى عبئت بها السيوف والمدافع ، لثبت السلم وعم العالم . وما كنا عندئذ لنقع فى هذه الحرب الـكوكبية الثانية .

وقد احتاج هتلر الى نحــو عشرين سنة وهو يعبيء الكلمات ويشحنها بشحنات عاطفية قوية تحمل الشعب الالمانى على التهيؤ الروحى للصراع الذى ابتــدأ فى أول سبتمبر من سنة ١٩٣٩ . وأنا أكتب الآن فى أبريل من سنة ١٩٤٤ وقد خسرت ألمانيا شيئاً عظيما جداً

من قوة السيوف والمدافع ولكن قوة الكلمات النازية لا تزال تدفعها الى المقاومة .

وما هى المثليات والمباديء الا الكلمات ؟ بل ماذا أعطانا الدين غير الكلمات كأن كل كلمة شعار أو مبدأ نبنى عليه خطط الحياة ؟ وهل نسى أبو تمام أن المسيحية تركت كتاباً وأن الاسلام ترك كتاباً وكذلك فعلت سائر الأديان وأن هذه الكتب أصدق أنباء من السيوف ؟

ومن منا ينسى الكلمات الثلاث : الحرية ،المساواة،الأخاء ، هذه الكلمات التى أحدثت الثورة الفرنسية وغيرت المجتمع في أوربا ولا تزال تغير مجتمعات أخرى فى غير أوربا

وميزة الأعمال التغيير . ولكن هذه الميزة نفسها تلصق أيضاً بالأقوال .

لأنه ما من كلمة تقولها فى المجتمع الا وتحدث تغييراً

كان أبو تمام شاعراً عربياً وكان ملتون شاعراً انجليزياً . وقد قال الأول كلمته الكاذبة البشعة : « السيف أصدق أنباء من الكتب » وقال الثانى: « من يقتل انساناً فانما يقتل مخلوقاً عاقلا هو صورة الله. ولكن من يهلك كتاباً طيباً فانما يهلك العقل نفسه وكأنه يضرب صورة الله فى عينها . . . الا أن الكتب ليست أشياء ميتة على الاطلاق اذ هي تحتوى قوة الحياة لأن تنشط كتلك النفس التى هي (الكتب) من سلالتها »

والحرب القائمة هي حرب بين كلمتين . الديمقراطية والفاشية

أجل . ان هناك أقوالا ليست أفعالا . وهناك كلمات ميتة هي تلك التي تنفصل من المجتمع وتعتكف في معبد أو في كتب قديمة لا يقرأها الشعب. ذلك لأن أخص خصائص اللغة هو اجتماعيتها . فاذا لم يتكلم بها الشعب ولم يجر التفاعل بينه و بينها فقدت قيمتها العملية ولم تعد الأقوال أفعالاً .

ولغتنا العربية من ناحية العلوم ميتة . ولذلك نحن لانعيش المعيشة العلمية ولا يتحرك مجتمعنا التحرك العلمي الذي تقتضيه معارف البيولوجية والكيمياء والسيكلوجية والهيجين الخ

وحيوية اللغة تقاس بقدر ما فيها من أفعال . وأفعالها تقاس بقدر تفاعلها مع المجتمع الذي ينطق بها . فاللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية أكثر أفعالا من اللغة العربية لأنها أكثر تفاعلا مع المجتمعات التي تنطق بها وأكثر اتصالا بالعلوم العصرية التي تتحرك بها هذه المجتمعات .





الذكاء واللغة

ليس هذا مقام البحث عن الكلمات هل هى أصل التفكير أم التفكير أصل الكلمات . واعتقادنا ان التفكير ممكن بلا كلمات ولكن فى صورة بدائية مضطربة كما نفكر فى الاحلام . وواضح ان احلامنا حين تكون على مستوى خامد راكد بالنوم تجرى بلا كلمات صورة تأخذ مكان صورة ومنظراً يتلو منظرا

ونحن الكتَّاب كثيراً ما نجد عندما نحلل تفكيرنا انه ينبعث ويتصل بالكلمات . ومما لاشك فيه ان هناك بين المتوحشين والبدائيين أذكياء من الطراز الاول . ولكن ذكاءهم يبقى عقيما لأنهم حين يفكرون يجدون تفكيرهم محدوداً بالتراث اللغوى المحدود الذى ينطقون (ويفكرون) بكلماته . واللغة لهذا السبب هي أعظم المؤسسات الاجتماعية فى أية أمة لأنها الوسيلة لتحريك الذكاء فى أبنائها ولتوجيه أخلاقهم بكلماتها التى تعبر عن المعرفة أو العقيدة أو الحكمة . ومن المحال أن تطمع الامة فى أديب من أبنائها اذا كانت لغتها غير أدبية كما انه من المحال أن تطمع فى عالم اذا كانت لغتها غير علمية

والفرنسيون معروفون بالمنطق والوضوح والدقة في تفكيرهم . واعتقادنا ان هذه صفات لغتهم أكثر مما هى صفات اذهانهم . فانهم من حيث السلالة لايختلفون ممن حولهم من الامم الأوربية ولكن اللغة الفرنسية تحتوى كلمات وعبارات فى غاية الوضوح والدقة . بحيث ان المعنى بل المغزى يبرز بأكثر مما يبرز فى أية لغة أخرى . ولذلك كثيراً ما نجد الكاتب الانجليزى يعبر فى غضون انشائه بكلمة أو عبارة فرنسية يحس ان كلمات لغته لاتؤديها . وعناية الفرنسيين بتعليم لغتهم فى المدارس تفوق أية عناية تبذلها أمة أخرى فى تعليم لغتها لابنائها

ويجب لذلك أن تكون الرسالة التعليمية الاولى لأية مدرسة مصرية هى تعليم اللغة العربية . وأن تكون غاية هذا التعليم ايجاد الكلمات التى تحرك ذكاءنا بالتفكير الحسن وأن يكون هدف المعلم ليس العبارة الجميلة ، بل الكلمة الناجعة ، التى لا يمكن أن تقوم مقامها كلمة أخرى. ولهذا يجب أن نتجه نحو الاسلوب الاقتصادى المضغوط فنقاطع المترادفات ولا نحمّل التلميذ عبء كلمات لا ينتفع بها في تفكيره العصرى . فان من يدرس ديوان المتنبى يجد فيه نحو الف كلمة جديدة غير مألوفة فى الصحف أو الكتب العصرية . ولكن هذه الكلمات لا يمكن الشاب المصرى أن ينتفع بها في عصرنا لأنها تصف مجتمعاً حربياً يخالف مجتمعنا . وهى لا تحرك ذكاءنا أو تحدد المعانى

لمعارفنا كما انها لا تكسبنا الاتجاه الاخلاقى أو الفلسفى

وفى هذا القرن العشرين الذى نعيش فيه تحتاج كل لغة متمدنة الى ان تحوى الكلمات الاجتماعية البارة التى توجه نحو الخير. والكلمات العلمية والفنية التى تصف وتعالج مئة وعشرين علماً وفناً. ومجتمعنا يجب أن يكون فى أكثره مجتمع المعارف والمنطق وفى اقله مجتمع العقائد والعاطفة. ولذلك يجب أن تحوى كل لغة كلمات المعرفة الدقيقة التى لا تلتبس مع كلمات أخرى حتى اذا فكرنا بها سار تفكيرنا على مستوى الذكاء الذى يمكننا من أن نعيش المعيشة العلمية فى مجتمع علمى

وخلاصة القول انه يجب علينا:

١ — أن نعنى أكبر العناية بتعليم أبنائنا لغتهم الوطنية لأنها وسيلة التفكير التى تحرك ذكاءهم وهى لذلك أثمن مؤسساتنا

٢ — أن تكون البلاغة بلاغة المنطق والمعرفة بدلا من بلاغة الانفعال والعقيدة. كما يجب أن نتوقى المترادفات والكلمات الملتبسة وأن نميز بين الكلمة الذاتية والكلمة الموضوعية.

٣ — أن يتأنق التلميذ فى تعبيره ولكن تأنق الذكاء وليس تأنق البهرجة البديعية

٤ – أن يحس المشرفون على اللغة ان كل تقصير فى ايجاد الكلمات التى تؤدى الى الفهم العلمى انما هو تعطيل لتطور الامة

٥ – أن نذكر انه على قدر ارتقاء اللغة ووفرة كلماتها ودقة معانيها يكون الانتفاع بذكاء أبناء الامة





للكلمات ايحاء اجتماعى للخير أو للشر . وكثير من الكلمات يحمل شحنة عاطفية انفجارية للشر مثل كلمة « دم » فى الصعيد ، أو للخير مثل كلمة « بر » في انحاء العالم العربي

وفى اللغة العربية كلمات مثل المروءة والبر والشهامة والفتوّة والمجد . وهى تحف لغوية يجب أن نقتنيها فى بيوتنا ونعتز بها ونعرضها على أبنائنا ونتحدث عنها . وما أسماها من كلمات كل منها بمثابة المؤسسة الاجتماعية التى تبعث الخير وتعمم الشرف أينما وجدت . واذا كانت المجتمعات العربية القديمة قد قصّرت فى فن الحكومة،لأنها لم تعرف البرلمان أو المجلس البلدى ، فان هذه الكلمات قد استطاعت فى أحايين كثيرة ان توجد المجتمع البار وان تقيم العدل مكان الظلم وان تحمل على الطموح والتطلع الى السماء . وأربع من هذه الكلمات الخمس أو على الاقل ثلاث لا يمكن ترجمتها الى اللغة الانجليزية.ولست أقصد هنا من الترجمة أن نجد الكلمة التى يدل اشتقاقها فى الانجليزية على انها ترادف العربية . بل أقصد الجو الاجتماعى التى تحدثه كلمات

مثل المروءة أو الفتوة أو البر . فانى أجزم بان اللغـــة الانجليزية لاتستطيع التعبير عنها ؟

ولو كانت لغتنا تحوى خمسين من هذه الكلمات بل التحف الغالية لكان فى مقدورنا أن نبنى بها أخلاق الامة ونعين لها النفسية التى تعيش بها فى سعادة ورفاهية . ولو كانت الامم العربية تكسب فى كل مئة سنة كلمة جديدة لها هذه القوة فى الخير لصار المجتمع العربى أسمى المجتمعات فى التفكير العاطفى

وقد يمكن السيكلوجى أن يقول ان هذه الكلمات انما عبأت هذه العواطف السامية لانها كلمات تعويضية أى ان المجتمع العربى فى القرون الماضية ، لما كابد من مظالم حكوماته، قد تعوض بهذه الكلمات من هـذه المظالم ، فأقام عدلا اجتماعياً مكان الظلم الحكومى أو الى جانبه

انظر الى كلمة « مروءة » وما تحمله الينا من المعانى السلبية والايجابية التى تكف وتغرى . فليس من المروءة الا نغيث السائل المحتاج أو نخون الامانة أو ننكث العهد . ولكن من المروءة أن نتجاوز عن حقوقنا عند المحتاجين وان نتصدق حتى ولو كنا مخدوعين وأن نعين العاجز ونسعف الملهوف . قال الزمخشرى : المروءة هى كمال

الرجولة . وقال المصباح : « المروءة اداب نفسانية تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات »

ولكن أين تعريف المعاجم هذا الجامد مما يعرفه جمهورنا عن هذه الكلمة السامية ؟ فان أحدنا ليقول : « دعك من هذا الرجل فانك لن تجد عنده مروءة » وكأنه قد حكم عليه بالاعدام المدني

واذكر أيها القارىء كم من موقف قد احتشدت فيه الدنايا والخسائس وطغت فيه الظلمات الحيوانية على الروحية الانسانية واذا بهذه الكلمة ينطق بها واحد فتنفجر منها قوة للخير فيخسأ الظلم وينهزم العدوان ويخفت صوت الحيوان ويعلو صوت الانسان

ثم انظر إلى كلمة « بر ». ونحن نقول فى أيامنا البر الاجتماعي ولكن فى المعنى الاصلى وهو البر بالوالدين علاقة عائلية حميمة ما أشرفها وما أجملها

أو انظر الى كلمة الفتوة . فان هذه الكلمة ، لما حملته من المعانى البارة ، بعثت أفراداً فى المجتمع العربى على تأليف جمعيات للخير والشهامة والمجد . فكان منهم « فتيان » يخدمون الفضيلة ويرفعون أنفسهم الى مستوى عال من السلوك والأخلاق . قال الزمخشرى « الفتوة هي الحرية والكرم » .

وحسب كلمة ان يكون بها من القوة الانفجارية للخير أن تتألف الجمعيات بايحاء لفظها .

فهذه كلمات ثلاث خدمت المجتمع العربي وعينت له أهدافاً من الشرف والسمو و بنت له من الاخلاق التى كان الحكم الجائر يهدمها. وكما قلت، لا يمكن ترجمة هذه الكلمات الى اللغة الانجليزية. لأن لكل منها معنى حميماً يتصل بالمجتمع أو العائلة فى جونا العربى.

فاذا أضفت الي هذه الكلمات كلمات اخر مثل المجد والشهامة والنخوة، عرفت قيمة هذه الكلمات التى يعد كل منها شعاراً يهتدى به الفرد فى مجتمعه ويجد الاتجاه السديد نحو الملاءمة الاجتماعية.

ومهمة الأديب أن يوجد مثل هذه الكلمات في لغته. لأنه عندئذ ينقل الجزاءات من المحكمة والسجن الي المجتمع والضمير. فالشاب الذى انغرست فيه معاني هذه الكلمات وما يقاربها لايحتاج إلى أن ننصب له الميزان الاخلاقى بالقوانين والمحاكم لأن هذه الكلمات قد اقامت هذا الميزان فى ضميره. فالدافع والوازع معاً داخليان هنا بالضمير وليسا خارجيين بالمحكمة والقانون.

وليست الكلمات سواء، فهناك من الكلمات ما نستعمله فنرتفع فوق أنفسنا فى الذكاء أو العاطفة. بل أكثر من ذلك. فانى أكاد أقول ان بعض الكلمات يجعل الناس أذكى مما يتوهمون كما ان هناك كلمات تجعلهم أشرف وأشهم مما يحسون. وقد تكون الكلمات أربطة اجتماعية تضمد وتجمع كما قد تكون سموماً تفكك المجتمع وتنساب فيه شروراً.



الكلمة شعار

فى الفصل السابق ذكرت بضع كلمات عربيـة قديمة يصح أن يكون كل منها شعاراً ينضوى اليـه ويعمل به كل شاب . بل يصح أن تؤلف الجمعيـات للدعوة الى المبادىء التى تقول بها . فنقول « جمعية المروءة » أو « جمعية الفتوة » أو « جمعية الشهامة » وندعو الشبان والفتيات الى اتخاذ المبادىء التى تنطوى عليها كل من هـذه الكلمات .

وأي شىء هو أثمن فى أية لغة فى العالم من أن تحمل كلماتها أو بعض كلماتها المبادىء الاجتماعية السامية التى ينتظم بها المجتمع ويسير بها أفراده عفو قلوبهم سيرة الشرف والاستقامة والطيبة .

والأمة المتطورة تحتاج الى كلمات جديدة تحمل لهـا الهداية العصرية والاهداف الاجتماعية، كلمات تمتاز بالايحاء الذى يحيل المجتمع الموات الى مجتمع حى يقظ ،كلمات يحس الفرد نشوتها بل يتأثر بكيميائها

ويجب أن أقول اننا نحن فى مصر قد قطعنا شوطاً كبيراً فى هذا الميدان فاخترعنا الكلمات التى توجه وترشد . وكان من حظى أن أقوم بنصيب حسن فى هذا الميدان .

انظر الى كلمات : وطنية . عائلة . شخصيـة . مجتمع . ثقافة . تطور . عالمية . تجديد . رجعيـة . ثورة . فانها جميعها كلمات حيوية تؤدى وظائف فسيولوجية فى المجتمع الحي . وليس فى المعاجم العربية مايشير الى معانيها العصرية. ولكننا نحن وضعناها أو ألصقنا معنى جديداً بكلمة قديمة . كما فعلنا فى « ثورة » فان الكلمة المألوفة فى كتب العرب هي « فتنة » وهي كلمة كريهة تدل على شعور السادة الغاصبين ولا تدل على شعور الشعب الناهض . فالمؤرخ الذى يكتب عن الثورة الفرنسية، اذا كان ملوكياً فانه يصفها بأنها « فتنة باغية » على العرش والنبلاء . واذا كان ديمقراطياً فانه يصفهـا بأنها « ثورة عادلة » قام بها الشعب الفرنسى فى انتقال اجتماعى خطير . واستعمالنا « ثورة » بدلا من « فتنة » يحمل مغزى اجتماعياً سامياً

وقد وضعنا نحن « وطنية » لكى تقرر بها احساساً جغرافيـاً جديداً يناقض الاحساس الثيوقراطي القـديم الذي كان يعم العالم العربى - بل وأوربا فى العصور الوسطى .

وكذلك وضعنـا « عائلة » لكى ننقل بها نظاماً أوربياً لم يكن موجوداً فى بلادنا . ولما ننجح . ولكن فى هذه الكلمة من القوة ما يسير بهذا النظام رويداً نحو النجاح .

وانظر الى كلمة «شخصية» . فقد ألفت أنا كتاباً عن هذه الكلمة. وهى من الكلمات التى تخصب المجتمع وتحفز الفرد الى الرقى والتطور

وفى كلمة « مجتمع » مغزى عصرى لم يكن يستطيع الحاكمون فى مصر أن يفهموه أيام محمد على أو المماليك حين كانت ميزات الثروة والحكم والقوة فى أيدى الاتراك والارنئوط دون المصريين. ولى انا كتاب عن كلمة « تطور » .

أما كلمة « ثقافة » فانى لم أنجح فى كلمة أخرى نجاحى فى تعميمها. وكلتاهما ، ثقافة وتطور ، تعين اسلوباً للحياة عند الشاب وتفتح أبواب الرقى والتجديد وتصد الرجعية والجمود .

وهناك عبارات مثل هذه الكلمات لها قوة التحريك الاجتماعى. ويجب أن يكون اهتمام الاديب بالاكثار منها حتى يألفها الجمهور فينصبها أهدافاً لكي يصل اليها أو يذكرها ويتحفز بها الي التجديد والرقى .

انظر الى قولنا « الدولة الايجابية » أى الدولة التى تعمل للرقى والبناء ولا تقتصر على أن تكون سلبية لكفالة الأمن العام فقط كما كان الرأى فى القرن التاسع عشر .

أو أنظر الى قولنا « القحط ثمرة الوفرة » فان فى هذه العبارة مفتاح الفهم السديد لنظام الانتاج الحاضر فى أوربا وأمريكا .

أو انظر الى قولنا « الجوع الكيماوى » حيث يكون الشبع بالكم يحمل الجوع بالكيف. كما هى الحال فى النقص الفيتامينى ينشأ بين

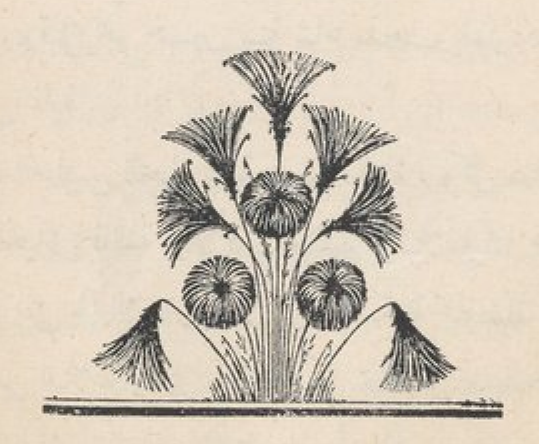
الفقراء بل وأحيانًا بين الاغنياء . فان فى هـذه العبارة ما يبعث على الدراسة للقيم الغذائية .

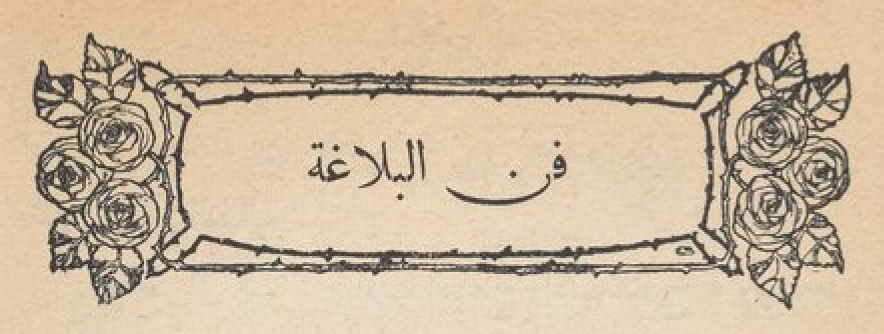
أو انظر الى قولنا : « ادب الكفاح وادب التفرج » وقيمة هذه العبارة فى الأدب وعلاقته بالمجتمع .

أو انظر الى عبارة « البيئة والوراثة فى التربية » فان فيها مايبعث على التفكير والدراسة سنين عديدة .

وقد كان يقال ان لكل نبى رسالة وهذا كلام حسن . ولكن لمَ لا يكون لكل انسان رسالة فى الخير والشرف والمجد .

هذه جميعها كلمات بل محركات اجتماعية كل كلمة منها شعار كأنه راية الجهاد للدفاع عن الذكاء والاخلاق وللدعوة الى الخير والرقى .





من أسوأ الانحرافات الذهنية فى الانسان أنه يحيل الوسائل الى غايات . فان الناس يجمعون المال وسيلة يصلون بها الي غاية السعادة وهذا هو الزعم بل الفهم العام . ولكن ما هو أن يشرع احدنا فى جمع المال حتى ينسى الغاية فيبقى طيلة حياته وهو فى هذا الاسر أى يجمع المال وغايته المال لا أكثر . فان الحياة قد أصبحت وسيلة للمال وليس المال وسيلة للحياة .

وهذا الانحراف كثيراً ما نجده فى شئون أخرى . حين يقال أن الأدب غاية الحياة . أو الثقافة أو الفن . بل هناك مذاهب تقول أن الدولة غاية . وقبل نحو خمسين سنة شاع مذهب يقول « الفن للفن » كأن الفن غاية .

والواقع انه ليس للحياة غاية سوى الحياة . وكل ماعدا الحياة انما هو وسائل للحياة . فاللغة والأدب والفن والبلاغة انما هي جميعها فى خدمة الحياة التى لها الاحترام الأول والمكانة المفضلة . فنحن نتعلم الفنون ونمارس البلاغة ونعنى بالثقافة لكي نصل فى النهاية الى مستوى عال من الحياة . ولذلك لانحتاج الى أن نشرح للقاريء أن بلاغة الحياة أهم وأخطر من بلاغة اللغة ،وان أسلوب الحياة أجدر بالأولية

والتفضيل في التعليم من أسلوب الكتابة ، وأن فن الحياة هو أشرف وأجدى الفنون على هذا الكوكب .

واذا جعلنا الحياة الشريفة السعيدة هدفاً، نوجه اليه فنوننا وعلومنا وعقائدنا ، فاننا نستطيع أن ننزع عن هذه جميعها تلك القداسة التى تحول بيننا وبين تنقيحها أو تغييرها . ويعود عندئذ « فن البلاغة » فناً تجريبياً مثل جميع الفنون . ويتغير كما تغيرت . فليس شك فى أن التغير أو التنقيح قد عم فنوناً كثيرة فى عصرنا مثل الرسم أو النحت أو البناء . ولكن فن البلاغة فى اللغة العربية لم يتغير .

فحياتنا العصرية تختلف من الحياة العربية قبل ألف سنة . فاذا كنا نسلم بأن فن البلاغة يجب أن يكون فى خدمة هذه الحياة العصرية فانه يجب أن يتغير لكي يخدمها . فلم يعد مجتمعنا فى حاجة الى البهارج والزخارف البديعية نحطم رءوس أبنائنا بتعلمها وممارستها . ولكننا فى حاجة الى أن نجعل البلاغة فناً للتفكير الحسن السديد . وللأمة المصرية حق تطورى فى هذا التغيير .

ويجب أن نشرح غايتنا من البلاغة الجديدة :

١ - فهى قبل كل شىء التفكير المنطقى السديد الذى يؤمن فيه من الخطأ

٢ - تحريك الذكاء وتدريبه بالكلمات .

٣ - أن نعرف كيف نستعمل الكلمات للتفكير التوجيهي .

٤ - أن نعرف كيف نستعمل الكلمات للتحريك الاجتماعى .

فاما القاعدة الأولى وهي أن التفكير يجب أن يكون منطقياً فتقضي بدراسة كتاب موجز فى المنطق . واذا كان اللورد هوردر الطبيب الانجليزى ينصح لكليات الطب فى بريطانيا بتدريس كتاب جيفونز فى المنطق فى السنة الأولى من الدراسة الطبية، فاننا أحوج الى مثل هذه النصيحة فى دراسة اللغة العربية فى كلية الآداب أو فى دار العلوم .

ويجب أن تكون الكلمات موضوعاً لتدريب الذكاء اللغوى فى التلميذ والطالب. ولن يستطيع مدرس اللغة أن يصل الى ذلك الا إذا كان موسوعى المعارف قد درس احدى اللغات الأوربية وأتقن علماً عصرياً .

والى هنا الفائدة سلبية وهى أننا لانقع فى الخطأ والالتباس. ولكن يجب أن نتعلم اللغة للفائدة الايجابية وهى الانتفاع بها فى ايجاد الكلمات الموطرية التى تحرك الفرد والمجتمع. أى نعرف القيم السيكلوجية للكلمات وما فيها من شحنات عاطفية أو تنبيهات ذهنية .

فاللغة علم وفن . فهى علم من حيث أننا يجب أن نعرف كيف ننتقد المعانى وكيف نسبر المغزى فى الكلمة . وهى فن من حيث قدرتنا على استعمال الكلمات لكي تبعث التحريك الاجتماعى أو التنبيه الذهنى أو العاطفى فى الفرد أو الجماعة. أي اننا نستطيع أن نعبيء الكلمات للاصلاح .

* * *

في سنة ١٩٠٤ كنا قد وصلنا الى أعمق هوة من الضعف الوطني وكان يقال لنا أن بلادنا زراعية وأنها يجب الا تتجه وجهة صناعية. وصدر في تلك السنة قانون يصف المصانع بأنها « محلات مضرة بالصحة أو مقلقة للراحة أو خطرة » .

والى الآن لا يزال هذا القانون قائماً . والى الآن لا يزال هذا هو وصف المصانع . بل أن كلمة « مصنع » لا ذكر لها في قوانيننا . فاذا كنت مصرياً ناهضاً قد تأملت الدنيا وعرفت أن الرقي إنما هو صفة الامم الصناعية وحملتك وطنيتك على أن تنشيء مصنعاً فى مصر لكى تربح منه وتوفر للشبان عملا وللجمهور بضائع رخيصة ، فاعلم أنك انما تؤسس «محلا مضراً بالصحة أو مقلقاً للراحة أو خطراً» . و بعد أن تؤسس هذا المصنع سيأتيك موظفون من وزارتى الداخلية والصحة وكل منهم مزود بعاطفة قد أحدثتها فى نفسه هذه الكلمات « مضر بالصحة . مقلق للراحة . خطر » فهو ينظر الى مصنعك واليك بهذه العاطفة . ويجب الا تنسي أنه لا يزورك مع ذلك موظف من وزارة التجارة والصناعة .

تأمل أيها القاريء ماذا كان يكون احساسنا وأية عاطفة كانت تثار فى نفوسنا لو أننا اسمينا المستشفى « محل يقتل فيه الناس أو تقطع أعضاؤهم أو يجرحون » ؟

فهنا مثال للفائدة التى نجنيها من الاستعمال الايجابي للغة . فاذا

شئنا ان نحب الانكليس فيجب الا نسميه ثعبانًا . واذا شئنا أن نحب المصنع ونحض الناس على اتخاذ الصناعة فيجب أن نختار له اسمًا ايحائيًا مغريًا كأن تقول بدلاً من العبارات السابقة : « كل من أسس محلا مفيداً للأمة يزيد ثروتها و يوفر العمل لأبنائها ويرخص البضائع النافعة الخ » ألا ترى القوة الموطرية فى هذه الكلمات ؟ ألا ترى أن هـذه الكلمات أليق وأشكل بوصف المصنع في عصرنا الجديد ؟ ألا ترى أننا هنا نجد الخدمة الاجتماعية العظمى من البلاغه الجديدة ؟

أجل : ان المصانع فى مصر يجب أن تعد مقادس الأمه كالمعابد سواء اذ هى التى سوف تنقلنا من الركود الريفي الى التحرك المدني . فيجب أن تجد فى قوانيننا ولغتنا الوصف الاطرائى المغرى بتأسيسها





عرف القارئ من مقال الاستاذ احمد امين بك ان معظم الاضطراب فى المعانى يرجع الى اننا أحياناً نستعمل كلمات وعبارات نشأت فى بيئة اجتماعية غير بيئتنا. وهى كلمات أو مجازات أو استعارات اشتقت من أساليب التفكير الذى كان متبعاً قبل نحو ألف سنة فى بغداد مثلا أو لا يزال يتبع فى اقليم عربى آخر له أسلوب تفكيرى يخالف أسلوبنا . ولو انه يعيش فى عصرنا . وهذا الاسلوب قد حمل السكان هناك على سلوك لغوى يخالف سلوكنا

وثم قاعدة تاريخية سديدة يجب أن نذكرها على الدوام هى ان طراز الثقافة يصاغ وفق الوسائل التى تستخدم فى تحصيل العيش . فوسائل العيش فى القاهرة تختلف مما كانت فى بغداد قبل ألف سنة وتختلف مما هى فى مراكش أو صنعاء الآن . ولذلك تختلف أيضاً ثقافتنا . واللغة تسير وراء الثقافة وكلماتها تحمل المعانى التى تتطلبها هذه الثقافة أو هى تعجز عن حمل هذه المعانى فيحتاج المجتمع الى غيرها . إذ لامفر من أن نربط اللغة بالمجتمع

ونحن نحاول أن نرقى بأمتنا . ولكن مامعنى هذا الرقى ؟

هذا الرقى يعنى اننا نعيش المعيشة العلمية حيث تستند الحقائق الى البيّنات لا الى العقائد . ولن نستطيع أن نتجاهل الوثبة الجديدة فى هذه الدنيا وهى انها قد تقلصت فيها المسافات حتى يمكن أن يقال انها صغرت فصارت قرية واحدة . فيجب لهذا السبب

١ - أن نجعل ثقافتنا علمية وأن نجعل لغتنا علمية . ويجب أن نستعمل كلمات العلوم فى تعبيرنا فى الصحف والكتب والحديث

٢ - وأن نجعل ثقافتنا كوكبية حتى تتسع افاقنا الذهنية والنفسية ونمارس بذلك حقنا البشرى الاول وهو ان هذا الكوكب ملكنا ولنا الحق فى معالجة شئونه بكلمات كوكبية .

وفى الفصل التالى سنعرف ما هى هذه الكلمات الكوكبية . أما هنا فنقتصر على التعبير العلمى أى استخدام كلمات العلوم فى بيئتنا الاجتماعية باعتبارها الكلمات المجازية التى تتفق والمجتمع العلمى الذى ننشد

وفيما يلى بعض التعابير التى اشتققتها من اللغة العلمية على سبيل المثال:

التفاعل بين اللغة والمجتمع - كيمياء

الوفد هو بؤرة الاشتعال الوطنى فى مصر - طبيعيات

نعيش فى عصر متوتر بالمصاعب والمشكلات - سيكلوجية

اللغة هي الجهاز العصبي للمجتمع - طب

الحياة تفقد ايقاعها فى المرض - موسيقا

أول ماتجرثمت الفكرة عندى - سيكلوجية

يجب أن ننظر الى المستقبل ببصيرة تلسكوبية - فلك

كان عند ما يدخل البيت يرصد جوه هل هو ينذر بالعاصفة - فلك

كان مذهب التطور من أعظم الخمائر الاجتماعية فى القرن الماضى - كيمياء

رجل يمتاز بالبصيرة السيكلوجية - سيكلوجية

يعانى تخمة ذهنية - طب

الايحاء أفعل من الاغراء - سيكلوجية

التحرش بالغريزة الجنسية فى القصص - سيكلوجية

خوف الغارات قد نفذ الى جميع مسام المجتمع - طب

يمشى فى تثاقل روماتزمى - طب

من الحركات المغنطيسية التى تجذب الشبان - طبيعيات

الطاقة الموطرية فى الـكلمات - طبيعيات

يخشى الدنيا ويري المصباح الاحمر أينما سار - ميكانيات

الحرب هى قاطرة التاريخ لانها تعجل التطور - ميكانيات

الوقف يقف كالخثرة فى الدورة الاقتصادية المصرية - طب

***

نحن الآن نستعمل القطار والرديوفون والعدسة ونعرف الجراثيم فى الامراض .وليس فى المدينة شيء نألفه مثل الموطر . وللمصباح الاحمر فى حياتنا المدنية قيمة الحياة والموت . فيجب أن نستعمل هذه الـكلمات في مجتمعنا كما استعمل العرب الـكلمات التى تتصل بحياة الجمل ونبات الصحراء وأعلام الطرق والجبل والسهل والقتال الخ





كلمات كوكبية

فى هذا العصر الذى نعيش فيه تجرى انقلابات من أخطر ماجرى على هذا الكوكب فى تاريخه . واذا لم نكن نحن على وجدان بهذين الانقلابين فان تطورنا يتأخر ، ونتخلف عن قافلة الحضارة

الانقلاب الاول ان العقل البشرى فى أعلى مستواه قد انتقل الى التفكير العلمى . فصار الانسان يعالج مشكلاته فى السياسة والصحة والاجتماع والاقتصاد بالعلم ،أو هو يحاول ذلك . والامة التى تمارس العلم ترتقى وتتفوق بل هى تستطيع أن تستخدم الامة التى لاتمارس العلم كما نستخدم نحن الجاموس أو البقر . ويتضح هذا بنظرة عاجلة للأمم المختلفة على هذا الكوكب

والانقلاب الثانى ان هذا الكوكب يصير رويداً نحو التوحيد . وليس هذا ثمرة الارادة البشرية ولكنه ثمرة العلم الذى محا المسافات حتى صار الانتقال من القاهرة الى القطب الشمالى سنة ١٩٤٤ يحتاج بالطائرة الى وقت أقل مما كان يحتاج اليه الانتقال من القاهرة الى

طنطا قبل مئة سنة بوسائل النقل القديمة . ومحو المسافات هذا قد عمل على التقريب الجغرافى والتقريب النفسى معاً . ولذلك أرانى أهتم فى الصباح بقراءة الاخبار عن التطورات السياسية أو الاجتماعية فى روسيا أو الولايات المتحدة الامريكية أو المانيا كما صرت الوك أسماء سمطس وتشرشل وروزفيلت وستالين وشيانج كاى شيك كما الوك أسماء الساسة فى مصر

التفكير العلمي من ناحية ،والعقلية الكوكبية من ناحية اخرى، كلاهما يؤثر فى تطورنا السياسى والاقتصادى ويجب لذلك أن يؤثر فى تطورنا اللغوى

فالعلم تفكير جديد يحتاج الى لغة جديدة . وهذا هو ماحدث فى اوربا . فان الاوربيين حين شرعوا يفكرون تفكير المنطق والتجربة، تفكير الذهن واليد ، أى التفكير العلمى ، وجدوا ان دقة التعبير تحتاج الى كلمات جديدة ليست لها أية ملابسات قديمة فاخترعوا هذه الكلمات،ليس من لغاتهم،بل من لغات قديمة لايعرفها الجمهور . وبذلك أصبح لكل علم لغته الخاصة التى لا يمكن أن يقال انها انجليزية أو فرنسية أو روسية . بل هى لغة العلم . فكلمة « بيولوجية » لايعرفها رجل الشارع فى لندن أو باريس أو نيويورك . لأنها كلمة مشتقة من اللاتينية لكى تعبر عن معنى لم يكن الجمهور فى حاجة اليه قبل مئتى سنة مثلا . وقس على هذا كلمات كثيرة مثل : المندلية فى

الوراثة . اليوجنية فى اصلاح النسل . السيمانية فى المنطق اللغوى . الاسبكترسكوب . التلكسوب . الميكرسكوب . السيزموجراف . الكارديوجراف . الرديوفون . التلفون . التلغراف . الهورمونات من الغدد . الفيتامينات الخ

فجميع هذه الكلمات — وآلاف غيرها — يعرفها اليابانى والانجليزى والهندوكى والارجنتينى . ولا يحاول واحد منهم أن يترجمها الى لغته. أولا : لانه يحس انه اذا اختار كلمة من لغته فانها تحمل معها ملابسات لا يعرف كيف يتخلص منها . وثانياً : لانه عندئذ ينعزل بكلمة خاصة ليست فى لغة هذا العلم التى يعرفها العلميون فى الاقطار الاخرى

فلكل علم لغته التى يجب أن تستعمل فى أى مكان على هذا الكوكب ، ولا يصح أن تترجم ، بل هى لا يمكن أن تترجم ، الا مع الضرر بالتفكير العلمى . والعلم شىء جديد فى عصرنا فيجب أن نقبل اسلوبه الجديد فى التعبير

وليس شك فى ان المصرى الذى تجابهه كلمة سيزموجراف أو اسبكترسكوب يضرس كما لو كان يمضغ حامضاً لانه يحس صدمة لغوية تخالف مألوفه. ولكن سرعان مايزول هذا الضرس بالألفة

وكلمات العلم أجنبية فى جميع اللغات وليس علينا حرج أن تكون كذلك أجنبية فى لغتنا . بل ان رجال العلم الاوربيين يأخذون

كلمات المتوحشين حين يكون لها مغزى فى الانثربولوجية مثلا كما نرى فى كلمتى طبو وطوطم

والمصرى الذى يتخصص فى علم ما ، يحتاج الى متابعة الدراسة مدى حياته لهذا العلم . ولا غنى له عن كلمات هذا العلم التى يستعملها جميع المتخصصين فيه فى القارات الخمس . وهو يفكر بهذه الكلمات . ومن التكليف المرهق ان نطالبه بترجمة هذه الكلمات الى لغتنا . لأن كل مانحتاج اليه أن نعرب هذه الكلمات ونصوغها فى صيغة عربية ، اذا كنا سنؤلف بها فى لغتنا الدارجة، أو لانصوغها، اذا كانت ستبقى مقصورة على المتخصصين

هذا من حيث كلمات العلوم . ولكن تقلص المسافات قد احال هذا الكوكب الى قطر واحد تسكنه أمة واحدة . وهذا يحملنا على على أن نتخذ العقلية الكوكبية . ولذلك جرت صحفنا على أن تستعمل هذه الكلمات والعبارات الكوكبية :

بروتوكول . مناقشات بيزنطية . حب افلاطونى . حكومة بيروقراطية . ديمقراطية . النظام السوفيتى . التلغراف . التلفون . الروديوفون . السينماتوغراف . الاتومبيل . الخ

ونحن والفرنسيون والالمان والصينيون والامريكيون سواء فى استعمال هذه الكلمات . وسوف تزداد هذه الكلمات فى المستقبل بالعشرات بل بالمئات . وهذا تطور حسن . لأن هذا الاتجاه ،

مع كلمات العلوم، يحدث القرابة الذهنية التى ستؤدى يوماما الى قرابة نفسية . فلا يكون الشعور بالبعد والفرقة والانفصال ثم الانعزال فالعداء

وكل مصرى بار بوطنه وبهذا الكوكب يجب ألا يعارض هذا الاتجاه . لأن المعارضة فى حقيقتها تعنى عقوقاً بحقوق البشر وعرقلة لاتحاد أبناء هذا الكوكب ورقيهم . وباتخاذ هذه الكلمات نقترب من العقلية الكوكبية، والثقافة الكوكبية، وربما اللغة الكوكبية

وعندى ان بعض الميزات لما يقترحه عبد العزيز فهمى باشا من اتخاذ بعض الحروف اللاتينية فى كتابتنا يعود الى ان هذه الحروف تضمنا الى مجموعة الامم المتمدنة . وتكسبنا عقلية المتمدنين وتنزع منا تلك الخصومة التى تبعثها كلمتا شرق وغرب. وتجعلنا أقرب الى العقلية الكوكبية واللغة الكوكبية . ولكنى مع ذلك لا أنتقص الفائدة من الخط اللاتينى فى التعبير عن كلمات العلوم . فان هذه الكلمات تبدو نابية فى الخط العربى ، كما تغيب اصولها التى اشتقت منها فلا نفهمها عند رؤيتها . وربما كان هذا من أكبر الاسباب للنفور منها ثم لتخلفنا فى العلوم

وواضح من تاريخ العرب انهم عربوا فى كثير من الاحوال بدلا من أن يترجموا . كما نرى فى هذه الكلمات . استاذ . ادب . اقليم . فلسفة . ابريق . قاض . كابوس . قانون . زخرفة . تاريخ . الماس . جغرافية . انبيق . زكاة . بستان . برج . تلميذ . جدول .

سجل . ترعة. دستور . قنطار . سمسار . صراط . صابون.لغة .قفطان. ناموس . الخ

فكل هذه الكلمات ومئات غيرها يرجع الى أصل اغريقي أو أصل لاتيني أوغيرهما .ولم يحاول كتاب العرب ترجمتها وانما اكسبوها صيغة عربية لا أكثر . ولا ينكر انهم عمدوا الى الترجمة أحياناً كما فعلوا في كلمات المنطق . فانهم ابتدأوا باصطناع كلمة السلجسة (سيلوجسم) ثم تركوها وقالوا القياس .وكل منا يأسف الآن على تركهم للسلجسة المعربة واتخاذهم كلمة القياس المترجمة . لان كلمة القياس تتحمل طائفة من المعاني التي تربكنا في حين نحتاج الى الدقة في قواعد المنطق

وللتعريب - فضلا عن قيمته في التقرب من لغة بشرية عامة وفضلا عن قيمته الدراسية في العلوم - قيمة ثقافية أخرى . لأنه يبصرنا بالتاريخ والتطور الثقافي . فنحن حين نقول « برلمان » نحس من حروف هذه الكلمة تاريخاً عاماً للحكم النيابي في العالم . وليس في مصر وحدها . ونعرف الاصل لهذا الحكم . وكذلك الحال في اتومبيل وتلفون و بسكليت ومنجه وجوافه وككتوس وقيصر وريشتاج وسوفيت وميكادو الخ

ومن مصلحة الثقافة ان تبقى هذه الكلمات على أصولها لكي نزداد معرفة للتاريخ أي فهما للدنيا



القـــدرة
على اصطناع الكلمات الاجنبية

•••ooo•••

قال هـ . ج . ولز فى كتيبه « العلم والعقل العالمى » :

« نستطيع أن تقول إن كفة الرأى ترجح فى ناحية اتخاذ اللغة الانجليزية أساساً مهماً للغة عالمية . ولست أقول هنا ان اللغة الانجليزية تصلح لأن تكون لغة عالمية وإنما أقول انها تصلح لأن تكون أساساً مهماً فقط . ذلك ان انتشارها في انحاء العالم فى الوقت الحاضر وخلوها من التغيرات الصرفية والارتباكات النحوية وقدرتها على تمثيل الكلمات الأجنبية — كل هذا يحسب من محاسنها . ولكن هناك ماهو ضد ذلك . وهو هذا الجمود العنيد، جمود الطبقة العالية التى تهاب ولا تقتحم ، هذا الجمود الذى يتحيز مكاناً كبيراً فى التقاليد التعليمية البريطانية التى تنزع الى الكلاسية أو التليدية العميقة التى تعدّ فى روحها انفصالية ترفّعية . وهذه النزعة ليست فقط غير مساعدة لانتشار اللغة الانجليزية بل هى تعرقل هذا الانتشار عرقلة قوية »

هذه هي كلمة ولز . ومنها نفهم ان اللغة الانجليزية تصح أن تكون أساساً للغة عالمية لجملة ميزات هى :

١ – انها انتشرت فى عصرنا انتشارا عظيما

٢ – انها تخلو من القواعد الشاقة فى النحو والصرف

٣ – انها قادرة على تمثيل الكلمات الاجنبية

ولكن ولز يرى ان بين بعض المتعلمين روحا ينزع الى التليدية أو الكلاسية فيهابون الكلمة الجديدة ولا يرحبون بالكلمات الاجنبية التى تخصب بها اللغة وتزدهر

ونحن فى مصر حين نقارن بين العربية كما نتعلمها ونكتبها و بين الانجليزية نعرف ان نزوعنا الى الكلاسية وكراهتنا للكلمات الاجنبية تزيد ، ليس مئةمرة بل ألف مرة ، على ما يشكوه ولز من الكلاسيين الانجليز . وحسبنا من هذا أن نعرف شيئين :

١ – ان فى اللغة الانجليزية نحو الف كلمة عربية وليس فى لغتنا نحو عشرين كلمة انجليزية

٢ – ان الكلاسية (التليدية) الانجليزية لا تبلغ جزءا من الف من الكلاسية العربية . والبرهان على هذا ان فى شكسبير الذى مات قبل نحو ٣٣٠ سنة تعابير وكلمات لو اجترأ انجليزى على استعمالها لعدّ حماراً سخيفاً مع اننا ننبش عن الكلمات المماتة فى لغتنا ونستعملها لابناء ١٩٤٥

والكلاسية فى مصر كما نراها فى ايامنا ليست لغوية أدبية فقط بل هي اجتماعية مزاجية ذهنية . فدعاتها مثلا يهتمون كثيراً جداً فى

التأليف عن الخوارج فى ايام على بن أبى طالب ويهملون التأليف عن الخوارج على الديمقراطية فى أيامنا . وهم يدرسون رجال الامس — والامس هنا قبل سنة ١٠٠٠ ميلادية — ولا يدرسون رجال اليوم . وهم فى اخلاقهم شرقيون وفى اقتصادياتهم زراعيون . وهم ينظرون الي اللغة والادب العربيين نظرة الراهب الى الدين . فكما ان هذا ينزوى في صومعته و يقرأ كتبه بعيداً عن معمعة الحياة ، كذلك أولئك ينزوون فى مكتباتهم ويدرسون الجاحظ ويحاولون أن يكتبوا مثله عنه : يكتبون عن الجاحظ بلغة الجاحظ ويثنون عليه أو ينقدونه بمزاجه وذوقه ومقاييسه

وهؤلاء الكلاسيون يجهلون أشياء كثيرة عن الدنيا .وانا أؤكد انهم سيضحكون منى حين أقول انهم يجهلون :

١ — ان الدوْدوْ قد انقرض منذ مئة سنة بعبث الصيادين وان انقراضه خسارة فادحة للبشر جميعهم

٢ — وان الكيمياء الصناعية قد اوشكت ان تقرر الغاء زراعة القطن من العالم كله . . . ومن مصر

٣ - وان مشكلة الهند يجب أن تكون مشكلة كل رجل مثقف على هذا الكوكب

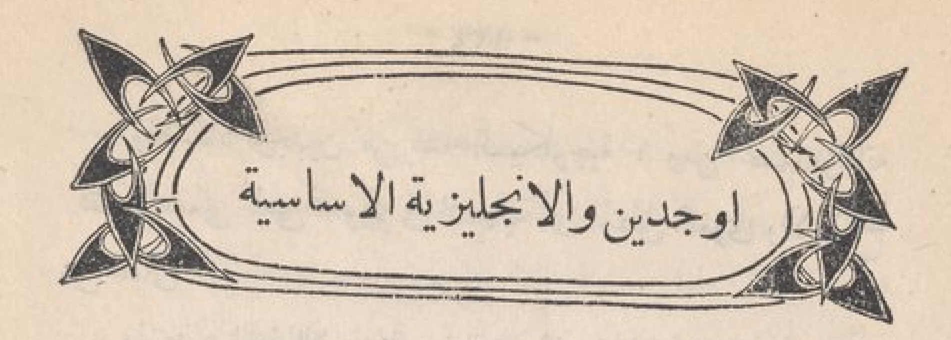
٤ — وان التكنولوجية تبشرنا بالوقت الذى يكفينا فيه شهر

من العمل لكى نعيش ١١ شهراً فى الراحة أى في التعلم و زيادة الاختبارات والاستمتاعات

الخ . الخ .

الكلاسيون هم رهبان الادب العربى . واللهجة اللغوية التى يتخذونها فى الكتابة قد أحدثت لهم لهجة ذهنية فى التفكير . فهم جامدون يخافون الدنيا . وهم أيضاً لهذا السبب نفسه يعرقلون تطورنا الاجتماعى والاقتصادى وتطور اللغة والادب . يكرهون الكلمة الاجنبية فيقولون سيارة بدلا من اتومبيل . ثم تنتقل هذه الكراهة الى العالم الخارجى فلا ينبعثون الى دراسة الصين أو الهند أو ألمانيا . ثم تنكمش أذهانهم وتعود الدنيا كلها وقد انحصرت فى اهتمامهم بدرس الادب واللغة العربيين لا أكثر . ثم يزداد الانزواء الرهبانى فيتحدث الاديب التليدى العربى عن العالم العصرى كما يتحدث الراهب عن فجور المدنيين الدنيويين . ثم بعد ذلك المقاطعة بين العقليتين





اوجدين والانجليزية الاساسية

تمتاز اللغة الانجليزية بميزات عظيمة جعلت لها السبق فى ميادين التجارة والصناعة والثقافة . ويبلغ الناطقون بها اكثر من مئتى مليون متعلم . ومن أعظم ميزاتها ان نحوها قليل القواعد حتى ليمكن الاستغناء عنه . وقد قال الفيلسوف هربرت سبنسر انه لم يتعلم النحو قط وانه درس والف فى هـذه اللغة دون أن يحتاج الى دراسة النحو . ولا يمكن عربياً أن يقول مثل هذا الكلام عن لغته

وميزة أخرى فى اللغـة الانجليزية انها غير جنسية . فالاشياء محايدة ليست مذكرة أو مؤنثة . أما نحن فنحتاج الى أن نعرف « جنسية » الحرب والسلم والارض والجبل والميناء والكبرياء والروح والبيت الخ

ومع هـذه السهولة لا يزال المفكرون من الانجليز يدعون الى الزيادة فى التبسيط . وقد قطعوا بعض المسافة نحو هذا الهدف فأصلحوا الهجاء وألغوا الحروف الصامتة . وهم ، بل وغيرهم من الامم الاخرى، يفكرون فى جعل اللغة الانجليزية لغة كوكبية . ولأجل هـذه الغاية وضع الاستاذ اوجدن ماسماه « الانجليزية الاساسية »

والاستاذ اوجدين من علماء السيكلوجية . ومن أعظم مؤلفاته كتاب «معنى المعنى» وهو فى السيمانية أى المنطق اللغوى والايضاح عن المعانى

ونزعة « اللغة الاساسية » تناقض النزعة العامة فى لغتنا . ومن هنا قيمتها لنا لأنها تنبهنا بهذا التناقض . فان الاستاذ اوجدين يرى ان الكلمات التى نحتاج اليها محدودة وانه خير لنا أن نعرف نحو الف كلمة واضحة المعنى محبوكة من أن نعرف عشرة أضعاف هذا العدد من الكلمات التى يحتمل فيها الشك والالتباس فتفسد التفكير وتعطل الذكاء

ثم هو يرى ان اللغة الانجليزية جديرة بان تعم العالم . وقد احتال للوصول الى هذا الهدف باختيار ٩٤٦ كلمة يعتقد انها تكفى للفهم فى اللغة الانجليزية . وهذه الكلمات هى ٦٠٠ اسم و ١٥٠ نعتاً و ١٨ فعلا و ٧٨ ضميراً وظرفاً وحرفاً

والقارئ يلاحظ قلة الافعال . ولكن اوجدين يستغنى عن الافعال باستعمال الاسماء الكثيرة مع افعال قليلة . فبدلا من أن أقول :

تعالجت من مرضى	أقول عملت العلاج لمرضى
وقضيت ساعة بالمنزل	« كنت ساعة بالمنزل
وسيزورنى اليوم محمد	« سيعمل محمد زيارة لى اليوم
ولما بلغت العاشرة من العمر	« لما كنت فى العاشرة من العمر

فيرى القارئ هنا اننا استعملنا فعلى كان وعمل بدلا من أربعة أفعال . ويمكن كذلك أن نستعملهما بدلا من مئة فعل . لأن الانسان اما كائن واما عامل . وفى اللغة الانجليزية نحو أربعة آلاف فعـل ولـكن اوجدين استغنى عنها كلها بهذه الافعال التالية :

جاء . حصل . اعطى . ذهب . حفظ . ترك . صنع . وضع . بدأ . أخذ . كان . عمل . ملك . قال . رأى . أرسل . أراد . ربما (وهى فعل فى الانجليزية)

وعلى هذا يمكن أن نجعل فعل « ذهب » يؤدى معانى ثلاثين فعلا . فنقول : ذهب فى (دخل) وذهب قبلا (سبق) وذهب من مكان الى مكان (جوّل)وذهب الى الجانب الآخر (عبر) : وذهب الى (زار) الخ. ثم هو أى اوجدين يستغنى عن المترادفات أو ما يقاربها . فنحن نقول جلد الحيوان . وفرو الثعلب ولحاء الشجرة. وغلاف الزهرة . وقشرة الثمرة . ولـكنه هو يقنع بكلمة جلد للجميع . فيحقق الاقتصاد اللغوى وهو بعض أهدافه.وهذه الـكلمات تحفظ فى بضعة أسابيع أو أشهر . وليست هذه الـكلمات بالطبع هى كل اللغة الانجليزية .ولـكن الاجنبى الذى يعرفها يستطيع التفاهم بها ويستطيع أن يقرأ بعض الكتب التى ألفت بها

وامامى وأنا أكتب هـذه الكلمات كتاب ألف على مبادئ « اللغة الاساسية » يدعى « نمو العلم » تبلغ صفحاته ٣٧٢ صفحة

متوسطة . ومن فصوله : مقاييس القوة . الضوء الكهربائى . داروين وما بعده . المادة . العلاقات

وبعض هذه الفصول يتعمق فى الفلسفة. ولكنه كتب بالانجليزية الاساسية . والقاعدة التى اتبعها اوجدين فى اختيار هذه الاصول دون غيرها هى انه وجد انها اكثر استعمالاً من غيرها فى اللغة الانجليزية . وهو بالطبع لايقول بالاكتفاء بهذه الكلمات ولكنه يقول بفائدتها للاجنبى الذى يجد اللغة ميسرة له لايستغلق عليه فهم كلماتها . فهو يتحدث ويكتب ويقرأ بها . ويستطيع بعد ذلك أن يتوسع . ويقول أيضاً بفائدتها للاطفال الانجليز المبتدئين لأنهم يستطيعون أن يقرأوا فى موضوعات مختلفة دون أن تقف اللغة عائقاً فى سبيل ثقافتهم تصدهم لأول اختبارهم لها

وهنا التناقض بين النزعتين : نزعة اوجدين فى تعميم السهولة مع توخى الدقة فى اللغة ، ونزعتنا نحن فى الاكثار من المترادفات واستعمال الكلمات القديمة النادرة حتى اننا نحتاج - في كتب الاطفال - الى أن نفسر لهم فى الهامش بعض الكلمات. وكأننا بهذا العمل نحاول صدهم عن القراءة

وقد أشرت الى هذه اللغة الاساسية لأنى أرجو أن أرى قيمة هذا المجهود تناقش فى لغتنا . ويجب أن أعترف أنه على الرغم من

جميع الصعوبات التى تعترض التعبير الاقتصادى الصحيح فى اللغة العربية ، قد استطعنا أن نقطع مسافة غير قصيرة نحو هذا الهدف . والفضل الاول فى هذا الميدان يعود الى الجريدة اليومية التى يضطر كاتبوها الى الاقتصاد فى الكلمات . وأحيانًا يترجمون التلغرافات وهى بطبيعة الاجور العالية لكلماتها مقتصدة موجزة لا تتحمل المترادفات أو البهارج . وفضل آخر فى هذا الميدان أيضًا يعود الى المحاكم التى أجبرت القضاة والمحامين ورجال النيابة على استعمال لغة محبوكة المعانى بعيدة عن الشبهات والشكوك . وفضل ثالث يعود الى نشر القليل من كتب العلوم المادية التى تطالب المؤلف باستعمال كلمات قليلة تمتاز بدقة المعنى

ولكنا مازلنا فى بداية الطريق . فان اقتراح قاسم امين بالغاء الاعراب واسكان أواخر الكلمات لم يلق أية عناية . وكذلك استعمال الارقام الأوربية كما يفعل اخواننا المغاربة بدلا من الارقام العربية لا يجد القبول الحسن . مع ان الارقام الاوربية اكثر اصالة فى العربية من أرقامنا الحاضرة . وهى تمتاز بوضوح الصفر كما تميز تميزاً نيّراً بين رقمى ٢ و ٣ اللذين يشتبهان عند ما يطبعان بالبنط الصغير

والآن يجدر بنا أن نتساءل : ما الذى حمل اوجدين على التفكير فى تأليف كتابه « معنى المعنى » وأيضاً على تيسير اللغة الانجليزية للأجانب وللمبتدئين بالاقتصار على ٩٤٦ كلمة ؟

الذى حمله على ذلك انه درس السيكلوجية وعرف منها القيمة الاجتماعية والثقافية للغة الانجليزية . وجدير بنا أن ندرس لغتنا فى ضوء السيكلوجية حتى نجعل التعبير العربى أيضاً - كلمة وجملة - وسيلة للخدمة الاجتماعية والثقافية . وربما يكون اوجدين قد بالغ فى الاقتصار على ٩٤٦ كلمة . ولكن موضوع اهتمامنا هو هذه النزعة التى حملته على اختيار هذه الكلمات التى آثرها على غيرها لتيسير التعليم للغة الانجليزية فى حين نعمل نحن للتعسير

أليس من المستطاع أن نختار نحو ألف كلمة من اللغة العربية تمتاز بالوضوح والدقة والألفة فنؤلف بها كتباً للصبيان فى المدارس الالزامية والابتدائية فى الجغرافية والتاريخ والحيوان والنبات ومبادئ العلوم بحيث يدخل الصبى فى هذه الميادين فيمرح فيها ويطلب المزيد ، وبذلك نبعث فيه الاستطلاع والتشوف ونغنيه عن الدمع الغزير والألم الوفير ؟ بل أليس من المستطاع أن نكتب بعض المجلات والجرائد بما نسميه « العربية الأساسية » لأفراد الشعب الذين لا يعرفون من لغتنا غير ألف أو ألفى كلمة ؟





التفسير الاقتصادى

للغة والادب العربيين

كثير مما سنقول فى هذا الفصل قد مرّ بالقارئ متفرقاً ولكننا سنجمعه هنا لابراز المغزى فى ترسيم هذا الكتاب وايضاح غايته

والتفسير الاقتصادى هو التفسير الماركسى الذى يعلل جميع الظواهر الاجتماعية فى الامة بالنظام الاقتصادى الذى يعيش أفرادها وفق مبادئه ،واجتماعهم يتغير بتغيره أو يركد بركوده . واللغة والادب كلاهما ظاهرة اجتماعية لا تختلف عن الاخلاق والعقائد

ففي أمة صناعية مثل بريطانيا أو الولايات المتحدة نجد اللغة عصرية والادب مستقبليا والتفكير علميا . وفى أمة زراعية مثل مصر نجد اللغة والادب تليديين والتفكير عقيدياً أو سنياً . ولننظر النظرة التحليلية فى ضوء «التفسير الاقتصادى للتاريخ» للغة والادب العربيين

١ - فالمجتمع العربى الذى ورثنا منه أدبنا ،ولغتنا الكتابية، كان مجتمعاً اقطاعياً زراعياً أى كان يعيش أفراده بامتلاك الارض .وكان في أقله الذى لايؤبه به تجاريا صناعياً . أى ان ٩٠ فى المئة من العرب في مصر والعراق وسوريا واقطار افريقيا الشمالية كانوا يعيشون بالزراعة. ومن شأن الزراعة الجمود . فنحن نزرع القمح الآن كما كان

يزرع قبل الف أو الفي سنة . فلم يكن هناك مايدعو الى تغيير العقائد أو الاخلاق أو الكلمات الزراعية . ومن ثم لم يكن هناك مايدعو الى تغيير الادب فى مثل هذا الوسط . بل ان كل محاولة للتغيير كانت تجحد لانها كانت تناقض الاستقرار الزراعى أى تناقض العيش

استقرار فى النظام الاقتصادى أدى الى استقرار (جمود) فى النظام اللغوى والادبى. فقواعد الزراعة التى جرى عليها المجتمع منذ الف سنة يقابلها قواعد اللغة وأسلوب الادب منذ الف سنة. والكلاسية أى التليدية التى نعانيها فى مصر الآن ليست لهذا السبب مفتعلة بل هى طبيعية لأننا مازلنا نعيش فى الوسط الزراعى الى حد كبير

٢ — هذا المجتمع العربى أيضاً كان مجتمعاً دينياً فكان الخليفة فى بغداد بمثابة البابا فى رومة . ومن غير المعقول أن نطالب أى دين الهي فى العالم بالتغير . فاستقرار الدين أدى الى استقرار اللغة أى جمودها . وأصبح رئيس الدولة أى الخليفة يحمى الدين : ويحمى الكلاسية أى التليدية فى اللغة . والعرش ينزع الى الماضى لأن حقوقه تعود اليه . فهو محافظ وأحياناً جامد أى ان للعرش أصولا اقتصادية سلفية تؤدى الى مبادئ لغوية وأدبية كلاسية تليدية

واذكر هنا فولتير يشمئز من ذكر الفار على المسرح لأنه كان يعيش في ظل العرش الفرنسى بلا دستور و بلا ديموقراطية . واذكر هنا أيضاً لغة الكهنة فى المعابد . فان تغيير الكلمة هنا يعادل الكفر

والآن لماذا لا نرضى بلغتنا العربية ، ولماذا يدعو قاسم أمين ، وعبد العزيز فهمى ، واحمد امين، ولطفى السيد ، وبهى الدين بركات، الى اجراء تغييرات كثيرة أو قليلة فى اللغة العربية ؟

السبب أن هؤلاء الرجال على وجدان بعصرهم أى هذا الوسط الصناعى العالمى الذى يغمر الوسط الزراعى ويتسلط عليه كما تتسلط بريطانيا الصناعية وعددها أقل من ٥٠ مليونا على الهند الزراعية وعددها نحو ٤٠٠ مليون . وهم على وجدان بالنتائج الاجتماعية لهذا الوسط الصناعى وهي الديمقراطية والحرية والاعتماد على المعرفة دون العقيدة والتوسل بالعلوم الى الرقى الاقتصادى والاخلاقى والثقافى. وليس من الضرورى أن يكون هذا الوسط الصناعى سائدا فى مصر لأن هؤلاء المجددين الذين ذكرنا متمدنون ووسطهم الحقيقى هو هذا العالم كله. فهم يحسون تياراته وينفعلون بنزعاته . وأستطيع أن أقول أنانا نزعتى الى الحضارة الصناعية مع مايجب أن يرافقها من ثقافة علمية هى التى تدفعنى الى الرغبة فى التغيير حتى تلائم اللغة ما أنشد من ثقافة علمية .وأستطيع أن أقول ان عرقلة الصناعة المصرية منذ ١٩٠٤ حين وصف القانون المصنع بانه «محل مقلق بالراحة الخ» قد عرقلت اللغة فى تطورها وحالت دون التفكير العلمى واستبقت الكلاسية أي التليدية فى الادب واللغة . وذلك لأن هذا القانون قد استبقى الزراعة أسلوبا للعيش لأكثرية الأمة فأدى استقرار العيش الى جمود اللغة والادب . ولولا هذا القانون لتفشت الصناعة واستتبع تفشيها ثقافة علمية تطعّم لغتنا بألوف الكلمات الجديدة



اللغة العربية فى مدارسنا

القراءة أسهل بكثير من الكتابة الانشائية كما يتضح هذا عند ما نحاول أن نكتب احدى اللغات الاجنبية التى تعلمناها . فانه يسهل علينا كثيراً أن نقرأ مؤلفاتها ولكنا حين نكتبها نجد الصعوبات الشاقة فى تأليف عباراتها

ولهذا السبب يجب أن تكون الغاية الاولى من تعليم اللغة العربية فى مدارسنا الابتدائية الشعبية (أى المدارس التى يجب أن تتناول مئة فى المئة من السكان) هى القراءة دون الكتابة التى قد يختص بها ٥٠ فى المئة من السكان أو أقل . فان العامل فى المصنع أو المزرعة أو الخادم فى المنزل أو مثل هؤلاء لا يحتاجون الى الكتابة الا قليلا جداً. ولكنهم - لكى يكونوا متمدنين - يحتاجون الى القراءة كل يوم . وحتى عند ما يحتاجون الى الكتابة نرضى لهم وتقنع منهم بما يعبر التعبير الساذج عن أفكارهم

ولسنا نعنى ان هذه الحال سوف تكون دائمة . ولكنا نجد اننا

فى الوقت الحاضر فى فاقة مادية وثقافية تحملنا على القنوع بتعيم القراءة للكافة من السكان ثم الارتقاء منها الى تعليم الكتابة الانشائية للأقلية التى نحتاج اليها فى المدارس الثانوية والجامعة

ولهذا السبب يجب أن تقتصر من تعليم اللغة العربية فى مدارسنا الابتدائية على تمكين التلميذ من المطالعة والفهم بلا حاجة الى أية قواعد خاصة بالنحو . وليس عليه من حرج أن يقرأ فيرفع المفعول وينصب الفاعل مادام يفهم مايقرأ . وبدلا من هذه القواعد النحوية يجب أن يتعلم الصبي أكبر مقدار مستطاع من الكلمات التى ترد فى الجريدة والمجلة والمتجر والمصنع والدكان والمنزل . ولهذا السبب يجب أن تتوافر لديه كتب المطالعة السهلة التى تغذو ذهنه بالمعارف الطلية عن حياته الاجتماعية والسياسية وعن العلوم والفنون

أما فى المدارس الثانوية فنشرع فى تعليم أقل ما يستطاع من قواعد النحو ولا نبالى الأعراب الذى أثبت الاختبار أنه لا فائدة منه بتاتًا . لأننا كلنا نقرأ ونكتب دون أن نحتاج اليه . والوقف فى أواخر الكلمات أى إسكانها هو الخطة السديدة التى يجب أن تتبع . وعندئذ يتوافر للتلاميذ الوقت لزيادة ما يدخرون من الكلمات. وهنا تدخل البلاغة،ونعنى بلاغة المنطق اللغوى للتمييز بين الكلمات من حيث الدقة والاقتصاد فى التعبير، وليس من حيث ألاعيب الصغار عن الاستعارات والمجازات كوجه القمر،وانت بحر، وعلم من فوقه نار ،الخ

ويجب أن تكون لنا غاية أخلاقية فى تعليم اللغة العربية الى جنب الغاية الثقافية وهى تعويد التلميذ القراءة حتى تعود حاجة ملحة فى نفسه لايستطيع الاستغناء عنها طيلة عمره . ولهذا يجب أن تكون لديه مئات من الكتب التى تبسط له المعارف البشرية فى عبارة مقتصدة تفتح له افاقا ذهنية جديدة في كل عام من أعوام دراسته فتثير استطلاعه وتحمله على البحث والتساؤل . ولهـذا السبب يجب أن تتناول كتب المطالعة - فى المدرسـة والبيت - موضوعات البيولوجية والاجتماع والتراجم والـكيمياء والفلك والاقتصاد والصناعة . والمألوف فى الوقت الحاضر أن تحتوى كتب المطالعة للاقسام الثانوية على مقطوعات أدبية من كتب العرب قبل ألف أو خمسمئة سنة . ولـكن هذه الـكتب لاتثير الاستطلاع ولا تحمل التلميذ على التساؤل والبحث والدراسـة الذاتية ولا تعوده القراءة بعد أن يترك المدرسة بل حتى بعد أن يترك الجامعـة ، ولذلك يجب أن تؤلف الـكتب الجديدة فى المعارف العصرية التى تستفز التلميذ الى البحث

وهنا يجب أن نذكر حادثا له قيمته هنا . فقد حدث ان قصد فوج من طلبة احدى الجامعات فى الولايات المتحدة الى المانيا للتعلم . وكان منهم من شاء التخصص فى اللغـة والادب ومن قصـد الى التخصص فى العلوم كالـكيمياء أو البيولوجية أو الطبيعيات . فبعد عام من الدراسـة اتضح ان الذين قضوا عامهم فى دراسة اللغة والادب

بالذات لم يحسنوا تعلم هذه اللغة ، لا كلاما ولا كتابة ، كما أحسنها أولئك الآخرون الذين قضوا عامهم فى دراسة الكيمياء والبيولوجية والطبيعيات . وذلك لأن الفريق الاول قضى وقته فى دراسة نحو اللغة و بلاغتها فى حين ان الآخرين قصدوا الى مادة علمية درسوها بالألمانية فأتقنوا اللغة عن سبيل دراسة هذه المادة

ويجب أن نسترشد نحن بهذا المثل فى تعليم اللغة العربية . فاننا نحسن تعلمها بقراءة الكتب التى تختلف موضوعاتها . لأن هذا الاختلاف فى الموضوعات يخصب الذهن تفكيراً وفهماً كما انه يوفر للتلميذ مئات الكلمات التى تثير استطلاعه وتفهمه فيستزيد من القراءة ويستنير ويعرف اللغة . بل يعرفها هذه المعرفة المتفاعلة المتجددة مع مجتمعه . أما اذا قصرناه على دراسة القواعد النحوية والبلاغية وكتب الادب القديم فانه يزهد ويقل استطلاعه أو ينعدم لأنه يجد انه قد تعب فى استظهار كلمات لا تتفاعل مع مجتمعه

قلنا انه يجب أن تكون لنا غاية أخلاقية فى تعليم اللغة العربية هي تعويد التلميذ القراءة بحيث لا يستطيع الكف عنها طيلة حياته . وغاية أخرى نتوخاها هي تكوين شخصيته بالمناقشة والخطابة . ولا نعنى بالخطابة تلك الحركات المنبرية البهلوانية التي تعتمد على قوة الذراعين والحنجرة أكثر مما تعتمد على الفهم والتميز . وانما نعنى أن نكثر

من الموضوعات التى يطالعها التلاميذ مع المعلم فتنشأ المناقشة المنيرة التى يتعلم منها التلميذ كيف يناقش و ينتقد

واذن يجب على معلم اللغة العربية فى مدارسنا الابتدائية والثانوية أن يكون موسوعى المعارف يستطيع الشرح للموضوعات الاجتماعية والبيولوجية والتاريخية والفلكية . وعليه أيضاً أن يعرف على الأقل لغة أجنبية أو لغتين لكي يقارن بين العربية و بينهما ويجدد فى لغتنا بمقدار انتفاعه من الجديد فيهما . وانه لزهو مضحك أن يعتقد أحدنا أن لغتنا تستطيع أن تعيش مستكفية لا تستمد التعبير الحسن من الانجليزية أو الفرنسية وان عليها أن تجتر نفسها دون أن تتزود من المعارف العصرية . وهذا الاعتقاد من أكبر الاسباب للفاقة الثقافية التى نعانيها فى وقتنا





اذا كان الأساتذة والطلبة فى كلية الآداب في الجامعة أو فى دار العلوم أو فى كلية اللغة العربية راضين عن اللغة العربية فرضاؤهم يمكن أن يعلل ويفسر من الناحية الماركسية ولكنه لا يفسر من الناحية الثقافية . لأن هذه اللغة لا ترضى رجلا مثقفاً فى العصر الحاضر إذ هى لاتخدم الأمة ولا ترقيها لأنها تعجز عن نقل نحو مائة علم من العلوم التى تصوغ المستقبل وتكيفه .

وهذا السخط الذى يتولانا كلما فكرنا فى حالنا الثقافية وتعطيل هذه اللغة لنا عن الرقي الثقافى تزيد حدته كلما فكرنا ، وأدى بنا التفكير الى اليقين بأن اصلاحها مستطاع .

والقلق عام ولكن الجبن عن الابتكار أعم . ولذلك قلما نجد الشجاعة للدعوة الى الاصلاح الجرىء الا فى رجال نابهين لا يبالون الجمهور أو الغوغاء مثل قاسم أمين بك أو أحمد أمين بك حين يدعو كلاهما الى الغاء الاعراب ، أو مثل عبد العزيز فهمى باشا حين يدعو الى الخط اللاتيني .

والواقع أن اقتراح الخط اللاتيني هو وثبة الى المستقبل لو أننا

عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر الى مقام تركيا التى أغلق عليها هذا الخط أبواب ماضيها وفتح لها أبواب مستقبلها .

واقتراح عبد العزيز فهمى باشا يحتاج أولا الى العمل بالغاء الاعراب الذي لم نتعلمه ولم نعمل به قط . والغاؤه يجعل الهجاء العربى فى الخط اللاتينى سهلا . ثم هو يغنينا عن وضع الحركات فى أعلى وأسفل الكلمة لأن الحركات فى الخط اللاتينى حروف تدخل فى صلب الكلمة .

ولننظر فى بعض الميزات التى للخط اللاتينى .

١ - فأول ذلك أننا نقترب نحو التوحيد البشرى . فان هذا الخط هو وسيلة القراءة والكتابة عند المتمدنين الذين يملكون العلم والقوة والمستقبل . وهذا الخط تأخذ به الأمم التى ترغب فى التجدد كما فعلت تركيا . ومن المرجح أن يعم هذا الخط العالم كله قريباً .

٢ - حين نصطنع الخط اللاتينى يزول هذا الانفصال النفسي الذي أحدثته هاتان الكلمتان المشئومتان « شرق وغرب » فلا نتعير من أن نعيش المعيشة العصرية . ولا بد أن يجر هذا الخط فى أثره كثيراً من ضروب الاصلاح الاخرى ، مثل المساواة الاقتصادية بين الجنسين، ومثل التفكير العلمى ، ومثل العقلية بل النفسية العلمية، الخ .

٣ - يمتاز الاوربيون بقدرتهم على ايجاد المعانى الجديدة بالصاق مقاطع مشتقة من اللغتين الاغريقية واللاتينية فيخلقون المعنى الجديد

من الكلمة القديمة . ونحن ننتفع بهذه المقاطع اذا أخذنا بهذا الخط
ولا يمكن أن نستعمل هذه المقاطع مادام الخط بالحرف العربى .

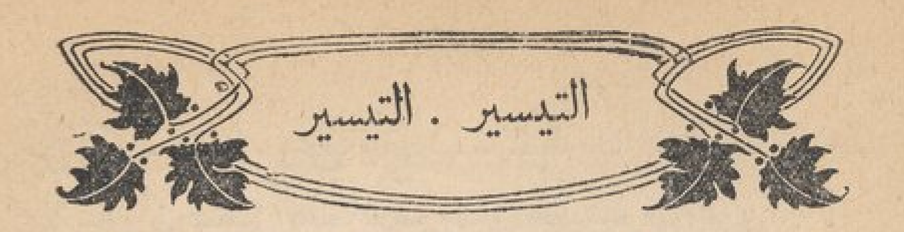
٤ – والكلمات العلمية التى تقف عقبة شاقة في لغتنا تغدو سهلة
الاستعمال بالخط اللاتينى .

٥ – ثم يجب الا ننسى أن الخط اللاتينى لا يكلفنا فى تعلمه
عشر الوقت الذى تقضيه فى تعلم الخط العربي بل ربما أقل .

٦ – وعندما نكتب لغتنا بالخط اللاتينى نجد أن تعلم اللغات
الأوربية قد سهل أيضاً فتنفتح لنا آفاق هى الآن مغلقة .

وبالجملة نستطيع أن نقول أن اتخاذ الخط اللاتينى هو وثبة فى
النور نحو المستقبل .... ولكن هل العناصر التى تنتفع ببقاء الخط
العربى والتقاليد ترضي بهذه الوثبة .





التيسير . التيسير

اذا فرضنا أن صبيين فى سن واحدة شرعاً يتعلمان ، أحدهما الانجليزية والآخر العربية ، دون أن يكون لأحدهما معرفة سابقة باللغة التى سيتعلمها ، فان الصبي الذي سيتعلم الانجليزية لايحتاج لأكثر من ستة أشهر لكي يتكلم ويقرأ ويكتب هذه اللغة على طريقة أوجدين . أما الصبي الذي سيتعلم العربية فانه يحتاج الى ما لا يقلّ عن أربع سنوات . أى أن الوقت الذى يقضيه المتعلم للغة العربية يزيد ثمانية أمثال على ما يقضيه المتعلم للغة الانجليزية

ولكى نفهم هذا الفرق يجب أن نذكر بعض العقبات التى سيلاقيها متعلم العربية ولا يلاقى مثلها متعلم الانجليزية . فأول ذلك أن حروف الكتابة تزيد عندنا على مئة حرف . لأن لكل حرف شكلا معينا يتبع موقعه فى أول الكلمة أو وسطها أو آخرها . أما فى الانجليزية فالحرف لا يتغير بتغير موقعه فى الكلمة .

وفى لغتنا يجب أن نميز الجنس فنعرف أن الكرسي مذكر والحرب مؤنثة . أما الانجليزية فلغة غير جنسية .

ومتعلم الانجليزية يعرف أن الواحد مفرد وما زاد عليه فجمع أما متعلم العربية فيجب أن يعرف أن مازاد على واحد قد يكون اثنين

فهو ليس مفرداً ولا جمعاً . بل هو صيغة خاصة تحتاج الى قواعد خاصة.
وقد كانت صيغة المثنى قائمة فى الانجليزية ولكنها ألغيت . والصبي الذى
يتعلم الانجليزية يستطيع أن يعبر عن العدد من واحد الى ألف بسهولة
أما فى العربية فالصبي يحتاج الى شهور لكي يدرس قواعد العدد .
وصبياننا في المدارس الثانوية يعدون بالفرنسية والانجليزية ولا يعرفون
كيف يعدون بالعربية للمشقة التى يلاقون فى قواعد العدد .

والصبي فى الانجليزية يجد قاعدة واحدة للجمع مع شواذ قليلة
جداً لايؤبه بها . أما فى العربية فعندنا من جمع التكسير قواعد لا
تحصى . بل يكاد أن تكون لكل كلمة قاعدة . والمعرفة التامة لجمع
التكسير تحتاج الى العمر كله ولو كان مئة سنة

وكل كلمة انجليزية آخرها سكون . ولكن الاعراب فى لغتنا هو
لعبة بهلوانية للذهن واللسان . ولن نحسنها الا بعد أن نربى عضلات
قوية تستجيب بسرعة . وكثيراً ما رأينا أن القارىء الذي يلتفت الى
الاعراب لايفهم مايقرأ وهو يعرب

ومشكلة الهمزة فى لغتنا ليس لها نظير فى اللغة الانجليزية كما اننا
يجب أن نعرف الفرق بين الالف المقصورة والالف الممدودة . والمتعلم
للانجليزية لايجد مثل هذه المشقات

وأكثر من ذلك حركات الحروف فى الكلمة الواحدة التي
ربما تتألف من ثلاثة حروف ولكن يمكن أن تنطق على اثنى عشر

شكلا مختلفا . وهـذا الاختلاف يحتاج - مثل جمع التكسير - الى العمر كله ولو كان مئة سنة لكى نحفظ لكل كلمة شكلها . أما الذى يتعلم الانجليزية فلا يحتاج الى هذا لأن الحركات قد صارت حروفا فى صلب الكلمة

وهناك قواعد أخر للمترفين فى اللغـة كالتنوين والتصغير يحتاج الذى يتعلم العربية الى شهور لدرسها ، أما متعلم الانجليزية فلا يحتاج الى شيء من هذا

ثم يجب ألا ننسى بعد كل هذه المصاعب ان الصبى الذى يتعلم الانجليزية سيجد ان ماتعلمه يخدمه فى الكلام والكتابة . ولكن الصبى الذى تعلم العربية يحتاج الى ان يعرف اللغة الدارجة للكلام ثم اللغة الفصحى للكتابة . وهذا مجهود آخر

والذى نلاحظه فى مصر ان الذى يلتفت الى اللغـة العربية ويستوفى قواعدها دراسة يحتاج الى العمر كله . فلا يجد الوقت لأية دراسة أخرى الى جنب اللغة

وليست اللغة سوى وسيلة للفهم والدرس . فاذا كانت تحتاج الى السنوات الطويلة لدراستها فان هذه السنوات محسوبة علينا وهى مقتطعة من الوقت الذى كان يمكن ان نرصده لدراسة الجغرافية والتاريخ والادب والجيولوجية والفلك والطبيعيات والكيمياء الخ . وذلك المسكين الذى يقضى عمره فى دراسة اللغة دون غيرها انما هو

بمثابة ذلك الذى يكد طيلة عمره لشراء آلة للغزل أو النسج حتى اذا اشتراها لم يغزل ولم ينسج . لأن اللغة آلة ولا يمكن أن نفرح باقتناء الآلة مالم نستخدمها

واذن يجب أن تكون الغاية من دراسة اللغة التعبير عن الجيولوجية والفلك والطبيعيات والكيمياء الخ . أما اذا كانت دراستها لا تؤدى هذه الغاية فهى عقيمة . وهى لن تؤديها مادامت كثيرة القواعد والشذوذات وما دامت تحتاج الى السنين الطويلة والجهد العظيم لدراستها ،لان هذه السنين الطويلةوهذا الجهد العظيم يجب أن ننفقهما فى دراسة هذا الكوكب ، ناسه ،وحيوانه ، ونباته ، ومواده ، وحضارته ، وعلومه ،وآدابه .

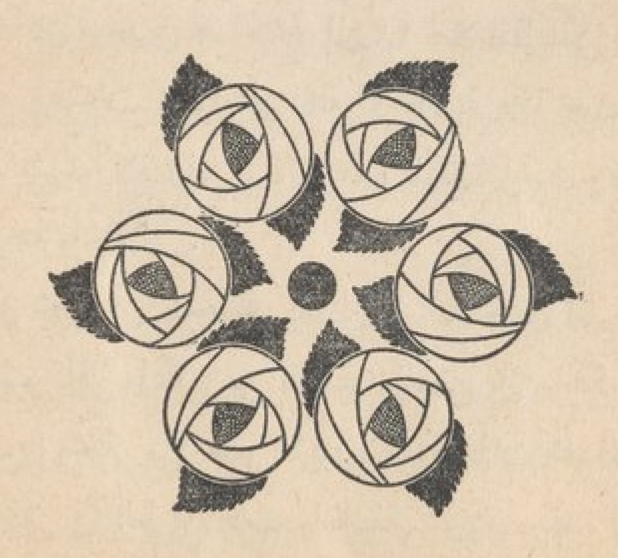
واذا كان أوجدين قد احتاج الى ١٨ فعلا فقط لكي يصل الى التعبير عن الحاجات المألوفة فى اللغة الانجليزية فاننا يجب الانفخر بأن عندنا عشرة آلاف فعل . لأن هذه الكثرة ليست وفرة الثراء وانما هي زحمة واختلاط .

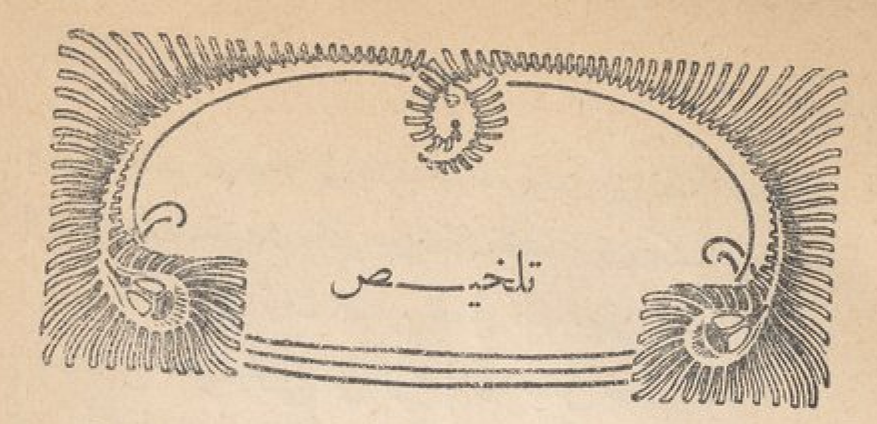
واذن يجب أن نتجه نحو التيسير لا التعسير فى تعليم اللغة العربية ، نقنع بأقل مايمكن من القواعد ونرفض كل ما يمكن من الشذوذات ، ونختار من هذه الألوف من الكلمات نحو الف كلمة للتعبير الدقيق فى العلم والأدب والفلسفة . ونؤلف بهذه الكلمات كتباً لصبياننا فى المدارس الابتدائية والثانوية . ثم نرتقى من هذه

الالف من الكلمات الي غيرها ولكن مع الحرص على أن تتجنب الكلمات السائبة التى يغمض معناها لأنها تضلل بدلا من أن ترشد .

وربما يكون من الحسن أن نميز بين القارىء والكاتب فى تعلم اللغة العربية . فاذا كانت الغاية من التعلم هي القراءة فقط فاننا نستطيع أن نصل الى ذلك بأقل القواعد أو بلا قواعد نحوية . وجمهور الأمة يقرأ ولا يكتب . ثم نقصر تعلم القواعد – بعد التيسير – على الذين سيكتبونها .

وليس لهذا التمييز شبيه في لغات العالم المتمدن ولكن لغتنا شاذة وتحتاج الى اجراء شاذ .





تلخيص

سبق أن قلت أن الذى بعثنى على تأليف هذه الرسالة أو هذا الكتيب هو مقال نشره الاستاذ أحمد أمين بك فى مجلة الثقافة بشأن ما يطرأ على الكلمات من تغيير لاختلاف الزمان أو المكان اللذين تستعمل فيهما. وأرجو القارىء أن يعرف أن ما كتبته هو بمثابة التعقيب أو الشرح (الذي قد لا يرضاه أحمد أمين بك)لهذا المقال. وغايتى قبل كل شىء المناقشة حتى نصل الى تمحيص جديد لمعانى الكلمات واستخدام هذه الكلمات فى بلاغة جديدة للفهم السديد

ومع أن ماسبق انما هو تلخيص، فانى اعتقد أن القارىء يحتاج هنا الى تلخيص التلخيص،حتى تبرز الأعلام الهامة لهذا الموضوع :

١ - يجب أن نكبر من شأن لغتنا العربيـة وأن نواليها أعظم اهتمامنا لأنها وسيلة التفكير. ولا يمكن التفكير الحسن بلا لغة حسنة.

٢ - كان فن البلاغة العربية ولا يزال الى الآن فن التعبير عن العاطفة والانفعال. ونحن لا نفكر، حين ننفعل أو نستسلم للعاطفة، التفكير الحسن. ولذلك فان هذا الفن لا يخدم التفكير العلمى والفلسفى

٣ - المجتمع الحسن هو الذى يقوم على العقل وحل المشكلات

بالمنطق . فنحن فى حاجة الى بلاغة جديدة تؤدى الى دقة الفهم العلمى لإيجاد مجتمع علمي، بلاغة تميز بين الكلمة الذاتية و بين الكلمة الموضوعية.

٤ – اللغة هى تراث قديم تحمل كلماتها معانى الحياة البدائية (الحياة من الحيا والروح من الريح) أو تحمل معاني السحر (علا نجمه وأفل نجمه) بل هى حافلة بأحافير و رواسب يجب أن نتوقّى استعمالها اذا شئنا التفكير السديد

٥ – كان المجتمع العربي القديم يستند الي العقائد والتقاليد وكان مجتمعاً حربياً يحتاج الى لغة العواطف والانفعالات التى تحرك الارادة ولذلك أصبحت بلاغته كذلك. وهى لهذا السبب صغيرة القيمة فى خدمة مجتمعنا الذى نحاول أن نجعله يسير على مبادىء المنطق والعقل والعلم .

٦ ـ داء الادب واللغة عندنا هو الكلاسية أى التليدية وهى تؤدى عندنا الى محاولة استرداد الامس بالتعبير والتفكير

٧ – المبالغة فى هذه الكلاسية تؤدى الى تحجر اللغة كأنها لغة الكهنة فى المعابد فتنقطع الصلة بينها و بين المجتمع

٨ – فى لغتنا كلمات تحمل شحنات عاطفية سيئة تؤدى الى ارتكاب الجرائم (الدم والعرض فى الصعيد) أو الى كراهة بعضنا بعضاً (كافر. نجس) والكلمات الجنسية التى تؤدى الى خيالات الحشاشين. وعلينا أن نقى عقولنا من هذه الكلمات .

٩ – للكلمة إيحاء اجتماعي للخير أو للشر . فيجب أن نستغل

اللغة للتوجيه الحسن للأمة والفرد . والبلاغة القديمة - بلاغة العاطفة والانفعال - مفيدة هنا للتوجيه الاجتماعى الحسن . ولكن مع الحذر العظيم من الدعاية السيئة .

١٠ - لن نستطيع الانتفاع بذكائنا إلا اذا كانت اللغة ذكية أيضاً أى تؤدى المعانى الدقيقة فى العلوم والفلسفات . ومن هنا ضرورة العناية بتمحيص المعاني حتى نمنع الالتباس . ولهذا تجب مقاطعة المترادفات والمتشابهات (مثل بلدة للمدينة و بلد للقطر) .

١١ - الكلمات الحسنة فى اللغة الحسنة تبنى الأخلاق حتى ليصح أن نعد الكلمة شعاراً ننضوى اليه كما لو كان راية فى جهاد . وعندنا من كلمات المروءة والشهامة والبر والحرية وأمثالها ماتبنى به المجتمع الحسن

١٢ - علينا أن نزيد فى لغتنا مثل هذه الكلمات بحيث تخدم تطورنا العصرى فنؤلف الكلمات التى توحى الرقى وزيادة الصحة والسعادة والنور والثقافة .

١٣ - والبلاغة الجديدة هى بلاغة المنطق الذى يرشدنا الى توقى الخطأ . والتفكير السديد هو التفكير العلمى الموضوعى الذى يقوم على التجربة . واللغة الحسنة هى التى تؤدى المعنى فى دقة هندسية ووضوح اقليدى

١٤ - قد نشأت فى عصرنا الحديث لغتان جديدتان احداهما لغة العلوم فيجب أن نأخذ كلماتها جميعها بلا ترجمة . ولغة كوكبية

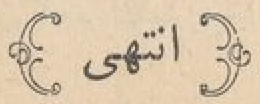
أخرى ينطق بها كل متمدن فى الدنيا مثل التليفون والتلغراف والسيناتوغراف والرديوفون فيجب ألا نقاطعها لأنها لغة كوكبية جديدة لا تملكها أمة دون أخرى

١٥ - كل انسان متمدن يجب أن يتعلم ثلاث لغات : لغته الاصلية التى تعلمها من أمه، ولغة العلوم التى تكتب بها الجيولوجية واليوجنية والفسيولوجية والكيمياء الخ . ولغة هذا الكوكب كما ترى فى كلمات كوكبية تنشرها الجرائد والكتب

١٦ - يجب أن نستبصر بحركة الاستاذ اوجدين فى الايجاز والتبسيط باختيار الكلمات المحكمة التى لا تتحمل الشكوك فى معانيها وأن نيسر تعليم اللغة العربية للعربى وللأجنبى

١٧ - لغتنا العربية كثيرة القواعد والشذوذات والكلمات المترادفة أو المشتبهة وهى تحتاج من الوقت لتعلمها نحو ثمانية أو عشرة أمثال الوقت الذى تحتاجه اللغة الانجليزية . فيجب أن نتجه نحو تيسيرها بالاقلال من القواعد والشذوذات بل والكلمات

١٨ - اتخاذ الخط اللاتينى يحمل الامة الى الامام مئات السنين ويكسبها عقلية المتمدنين ويجعل دراسة العلوم سهلة . وهو خطوة نحو الاتحاد البشرى





القاموس العصري

عربى – انكليزى

عن مجلة المقتطف شهر أكتوبر ١٩٤٤ :–

١ – انهُ معجم حى لا معجم ميت . انك تُلفى جميع المعاجم التى تطبع أو تؤلف فى هذهِ السنين الأخيرة ، أى مُنذ نحو مائة سنة ، تدوّن الكلم القديمة منذ نأناة الاسلام الى هذا العهد ، ولا تقيد حرفاً واحداً من فصيح كلام المعاصرين . وهذه الصفة تجعل الكتاب من كتب الأموات لا من كتب الأحياء ، تقرْ فيها مثلاً سيارة ، وطيارة ، وغواصة ، ومدرعة ، ودبّابة (بالمعنى الحديث) ودرّاجة ، وسحّابة ، وجميع أوضاع المحاكم ، ومصطلحات القضاء ، والقانون ، فانك لا تجد لها ذكراً ، ولا اشارة ولو من طرف خفي إلا في النادر ، لكنك تجدها في « القاموس العصري »

٢ – انهُ المعجم الوحيد الذي حصل على امتيازٍ لم يحصل عليه قبلهُ مثلهُ . وهو انهُ نُقل الى اللغة الصينية حرفاً بحرف . . . . . الخ

٣ – انهُ « المعجم الوحيد » الذي وضع بجانب الكلمة العربية التي يُنشد نقلها إلى الانكليزية ، مايفيد معناها بالعربية أيضاً . . . الخ

٤ – انهُ « المعجم الوحيد » الذي يسرد لك جميع الألفاظ التي وضعها المعاصرون ، من أرباب الصحف ، والمجلات ، والمؤلفات العصرية ، في العلوم والآداب ، والفنون ، والصنائع المستحدثة ، ولا تكاد تجد لها أثراً في سائر الدواوين .

٥َ - انهُ « المعجم الوحيد » الذي تجد فيهِ كيف تقع على الكلمة التى لا تسقط عليها فى مظنّتها ، فهو يرشدك إلى محل الاطلاع عليها وهى ميزة تفرد بها هذا السفرُ الجليل ... الخ

٦َ - انهُ « المعجم الوحيد » الذي راجع صاحبهُ جرائد ومجلات ، معاجم صغيرة و كبيرة ، دواوين خاصة وعامة ، تآليف اختصاصيين وغير اختصاصيين ، قديمة وحديثة ، لأبناء العَرب ولأبناءِ الغَرْب .

٧َ - انهُ « المعجم الوحيد » الذي جمع إلى جودة التأليف وسعة الموضوعات ، طبعاً متقناً ونظيفاً ، وحروفاً افرنجية وعربية ، ضخمة ودقيقة ، وورقاً صقيلا وأبيض ، ثخيناً وقوياً ، وكلها أمور نادرة ، لم تجتمع فِي كتاب عصري ، ألف في عهدنا هذا .

٨َ - إنهُ « المعجم الوحيد » الذي لم يُطبّل لهُ صاحبهُ ولم يزمّر لهُ ، وجعل قيمتهُ بخسة ، هى ليست بشيء يُذكَر بجانب ما فيهِ من الحسنات ، والفوائد الجزيلة العوائد .

٩َ - انهُ « المعجم الوحيد » الذي أقبل العرب على اقتنائهِ ، ولم يحبوا أن يضعوا بجانبهِ معجماً آخر ، ضخماً كان أو غير ضخم ، لأنهم وجدوا فيه ضالتهم المنشودة ، وجميع أمانيهم ، من ألفاظ عربية ، ومصطلحات انكليزية ، وكل ذلك فى أوراق قليلة ، وصفحات وُضّاءة ، دفعتهم إلى أن لا يقابلوهُ بأي معجم آخر طُبع إلى الآن .... الخ

بتوقيع

حضرة العالم اللغوي

الأب انستاس مارى الكرملى

عضو مجمع فؤاد الاول للغة العربية

القاموس العصري

عربى — انكليزى

عن مجلة المقتطف شهر أكتوبر ١٩٤٤ :—

١ً — انهُ معجم حي لامعجم ميت . انك تُلفى جميع المعاجم التى تطبع أو تؤلف فى هذهِ السنين الأخيرة ، أى مُنذ نحو مائة سنة ، تدوّن الكلم القديمة منذ نأناة الاسلام الى هذا العهد ، ولا تقيد حرفاً واحداً من فصيح كلام المعاصرين . وهذه الصفة تجعل الكتاب من كتب الأموات لا من كتب الأحياء ، تقرْ فيها مثلاً سيَّارة ، وطيارة ، وغواصة ، ومدرعة ، ودبَّابة (بالمعنى الحديث) ودرَّاجة ، وسحَّابة ، وجميع أوضاع المحاكم ، ومصطلحات القضاء ، والقانون ، فانك لا تجد لها ذكراً ، ولا اشارة ولو من طرف خفي إلا في النادر ، لكنك تجدها في « القاموس العصري »

٢َ — انهُ المعجم الوحيد الذي حصل على امتيازٍ لم يحصل عليه قبلهُ مثلهُ .وهو انهُ نُقل الى اللغة الصينية حرفاً بحرف . . . . . الخ

٣َ — انهُ « المعجم الوحيد » الذي وضع بجانب الكلمة العربية التي يُنشد نقلها إلى الانكليزية ، مايفيد معناها بالعربية أيضاً . . . الخ

٤َ — انهُ « المعجم الوحيد » الذي يسرد لك جميع الألفاظ التي وضعها المعاصرون ، من أرباب الصحف ، والمجلات ، والمؤلفات العصرية ، في العلوم والآداب ، والفنون ، والصنائع المستحدثة ، ولا تكاد تجد لها أثراً في سائر الدواوين .

٥ً - انهُ « المعجم الوحيد » الذي تجد فيه كيف تقع على الكلمة التى لا تسقط عليها فى مظنتها ، فهو يرشدك إلى محل الاطلاع عليها وهى ميزة تفرد بها هذا السفر الجليل ... الخ

٦ً - انهُ « المعجم الوحيـد » الذي راجع صاحبهُ جرائد ومجلات ، معاجم صـغيرة و كبيرة ، دواوين خاصة وعامة ، تآليف اختصاصيين وغير اختصاصيين ، قديمة وحديثة ، لأبناء العرب ولأبناء الغرب .

٧ً - انهُ « المعجم الوحيد » الذي جمع إلى جودة التأليف وسعة الموضوعات ، طبعاً متقناً ونظيفاً ، وحروفاً افرنجيـة وعربية ، ضخمة ودقيقة ، وورقاً صقيلا وأبيض ، ثخيناً وقويا ، وكلها أمور نادرة ، لم تجتمع في كتاب عصري ، ألف في عهدنا هذا .

٨ً - إنهُ « المعجم الوحيدُ » الذي لم يُطبِّل له صاحبهُ ولم يزمّر له وجعل قيمتهُ بخسة ، هى ليست بشىء يُذكر بجانب ما فيهِ من الحسنات والفوائد الجزيلة العوائد .

٩ً - انهُ « المعجم الوحيد » الذي أقبل العرب على اقتنائهِ ، ولم يحبوا أن يضعوا بجانبهِ معجماً آخر ، ضخماً كان أو غـير ضخم ، لأنهم وجـدوا فيه ضالتهم المنشودة ، وجميع أمانيهم ، من ألفاظ عربية ، ومصطلحات انكليزية ، وكل ذلك فى أوراق قليلة ، وصفحات وُضَّاءة ، دفعتهم إلى أن لا يقابلوهُ بأي معجم آخر طُبع إلى الآن .... الخ

بتوقيع
حضرة العالم اللغوي

الأب انستاس مارى الكرملى

عضو مجمع فؤاد الاول للغة العربية



لا
بها
مع
اخ
المو
وو
ع
و
وا
يح
و
و
د